القرية فى شعر محمود حسن إسماعيل

دكتور / محمود جمعة أمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، ولي الهداية والتوفيق، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الهادي إلى الحق وإلى أقوم طريق، ورضى الله تبارك وتعالى عن صحابته أجمعين الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

ويعد

فهذا بحث عن القرية فى شعر الشاعر محمود حسن إسماعيل والحق أن شعر القرية وثيق الصلة بشعر الطبيعة، فما القرية إلا مظهر من مظاهر البيئة الطبيعية فى جمالها الآسر، وسحرها الأخاذ وبهاء منظرها، حيث الفضاء الواسع الذي لا يحيط به البصر، وحيث المروج الخضر تكسو الأرض بسندس أخضر يأخذ بالألباب، وجداول المياه تنساب فى رقة وصوت موسيقى عذب جميل، وحيث الطيور المختلفة الأشكال والأنواع "صافات ويقبضن "فى" جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه".

فى وسط هذه الجنات والبساتين والحقول والمروج والزروع والزهور تقع أغلب القرى المصرية وغالبها يطل على النيل بسلسبيله وعذب روائه، وكثرة خيراته وجمال منظره، حيث تداعب الرياح مياهه، وتشق السفن عباب أمواجه فى غدوها ورواحها، وشمس الأصيل ترسل أشعتها الذهبية فى لجين الماء.

وهذا من شأنه أن يثير العواطف ويلهب المشاعر، فيحرك فى

الشاعر الوجدان ويوقظ الأحاسيس لدى الفنان فيرسم ذلك لوحة فنية، أو يصوره قصيدة رائعة.

يقول محمود حسن إسماعيل: "والطبيعة المصرية لوحة فنية رائعة، وشاها النيل منذ فجر الله ينابيعه فى هذا الوادي الخصيب بأصباغ فذة، وألوان تثير شغف الفنان، وتحرك فيه الميل إلى تصويرها فى فنه.. جنة غناء بسامة الزهر، يتسلسل تحت نخيلها وزيتونها وسدرها وصفصافها نهر دافق لم ترأوده الطبيعة يوما ما على أن يفيض فيغرق الحرث والنسل أو يفيض فيردها صعيدا جرزا"[١].

ومما لا شك فيه أن الطبيعة منزل وحى الشاعر يلجأ إليها إذا إستعصى عليه الشعر، فتفتق شاعريته، وتجود قريحته.

وقد أخبرتنا الموسوعات الأدبية: أن "زهير بن أبى سلمى" كان يلجأ إلى الطبيعة إذا استعصى عليه القريض[٢]. وقيل لكثير كيف تصنع يا أبا صخر إذا عسر عليك قول الشعر؟ قال: أطوف على الرباع المحيلة، والرياض المعشبة، فيسهل علىّ أرصنه ويسرع إلى أحسنة".[٣] وكثيرا ما خرج الشعراء على ظهور الإبل إلى البادية ينشدون الأشعار، وكان أكثر الشعر الأموي قد قيل على ظهور الإبل والخيل وسط الطبيعة[٤]. بل لعل أكثر

---

١) ديوان أغاني الكوخ ص١٧٧، ص١٧٨ فى مجموعة الأعمال الكاملة للشاعر محمود حسن إسماعيل طبع دار سعاد الصباح الطبعة الأولى سنة ١٩٩٣م.

٢) الأغاني للأصفهاني جـ ١ ص١٤١ طبع دار الكتب سنة ١٩٢٦م.

٣) العمدة لابن رشيق جـ١ ص٢٠٦ ط دار الجيل سنة ١٩٨١م وفي الشعر والشعراء لابن قتيبة: إنه لم يستدع شارد الشعر بمثل الماء الجاري والشرف العالي والمكان الخضر، ط: ص٧٩ تحقيق أحمد محمد شاكر ط دار المعارف سنة ١٩٨٢م.

٤) روى ابن رشيق فى العمدة: " أن الفرزدق كان إذا صعبت عليه صنعة الشعر ركب ناقته وطاف منفردا فى شعاب الجبال، وبطون الأودية والأماكن الخالية فيعطيه الكلام قيادة " ط ص ٢٠٧.

الشعر الجاهلي قيل أيضا على ظهور الخيل والإبل. فهؤلاء شعراء العرب فى العصر الجاهلي قد احتضنتهم الطبيعة فى الباديه بين وهادها ونجادها، وترامي بهم انتجاع الرزق فى قيعانها المعشبة حاثين لها المطايا خفافا إلى موارد عيشهم يحدونها بالأهازيج الطبيعية التي تنبعث من قلوبهم شجية بريئة تطرب رواحلهم، وتسليهم فى وحشة السرى ومضاضة الأسفار.

هؤلاء الشعراء قد عبروا عن أحاسيسهم فى هذه المعيشة البدوية بشعر صادق يعد مثلا أعلى لتصوير أثر الطبيعة فى نفس البدوي، فوصفوا لنا الجبال الشامخه والسحب السارية، ورهبة الليل فى البيداء، وعصف الرياح حول الخيام، والدمن العافيات يمرون بها فيخطف سكونها كامن شعورهم، فيندبون قطانها، ويناجونها أرق النجوى، كما وصفوا نار القرى ولمحها فى قلوب المدجلين الحيارى، وما كانوا يمرون به فى مسالكهم من شجر البان وزهر الخزامى والشيح، يتنفسون من جوها أريج الذكرى لسالف عهودهم، فجاءت أشعارهم صورة حيه للتجاوب مع الطبيعة التي عاشوا فيها.

ولقد أولع أيضا شعراء الغرب بالطبيعة وهاموا بها وخلدوا لها الآثار الرائعة التي تدل على سيطرتها على كل نفس شاعرة فى البيئة التي تعيش فيها فى مختلف بقاع الأرض، فالشعر ابن الطبيعة منها نشأ وفي أحضانها ترعرع، وفيها صاغ الشاعر فنًا حاول به أن يحاكيها ويقترب به من المثل العليا.

والشاعر محمود حسن إسماعيل قد عاش فى الطبيعة حيث ارتبط بالقرية ارتباطا وثيقا واتصل بها اتصالاً حميما منذ نعومة أظفاره، فهو قد نشأ فى إحدى القرى المصرية الغنية بطبيعتها الفاتنة، وهي قرية "النخيلة" إحدى قرى مركز "أبو تيج" بمحافظة اسيوط، حيث تطل هذه القرية على نهر النيل من الضفة الغربية له، وتحيطها مروج خضر، وحدائق غنّ "والنخل باسقات لها طلع نضيد". وكان الشاعر يقضي معظم أوقاته على ضفاف النيل

وبين حقول القرية على حد تعبيره: "ولم أكن معظم الوقت فى البيت، بل كنت أعيش فى الحقل على مشارف نهر النيل، وقد تغلغلت به روحى الشابة فى جميع مظاهر الطبيعة وأسرارها حتى امتزجت بها الإمتزاج الذي أورثها الحنين الدائب إلى تلك الحياة الهادئه بين الحقول المصرية الممرعة، والقرى النائمة على ضفتي النيل الزاخر، وخلفت فى دمي الشوق الملح إلى الحياة بين رباها وأزهارها، ونحلها وأطيارها، ونخيلها الساهم فى سكون الفضاء[1].

ومن هنا كان لهذة النشأة فى القرية أثر فتح أكمام الشاعرية عنده فطفق يتغني فى باكورة شعره "أغانى الكوخ"[2] بجمال قريته، فتمثل طبيعتها، بحقولها وحدائقها ونيلها وسواقيها وحيواناتها وطيورها وفلاحيها، فانطلق صوته مع الطيور المغردة وأهاب بأصحابه أن يحيوا معه فى كنف الشجر الأخضر، حيث لا أحقاد ولا أضغان. على ما سيأتى أوضحه من خلال هذا البحث إن شاء الله تعالى. هذا وسينتظم البحث -بمشيئة الله- بعد هذه المقدمة ما يلى:

١- محمود حسن إسماعيل فى موكب الزمان ويشتمل على:

أ- مولده ونشأته. ب- تدرجه. ج- وفاته.

٢- الشاعر والطبيعة وعوامل تعلقه بها.

٣- القرية فى وجدانه.

٤- مظاهر شعره فى القرية.

٥- الصورة الفنية لشعره فى القرية.

٦- الصبغة الإسلامية لشعره فى القرية.

---

١) ديوان أغني الكوخ للشاعر ص ١٧٠.

٢) كان هذا الديوان هو الديوان الأول للشاعر صدر فى يناير سنة ١٩٣٥م والشاعر حينذاك طالب فى كلية دار العلوم.

ثم الخاتمة

والله اسأل التوفيق

"وما توفيقي الا بالله عليه توكلت وإليه انيب"

"وعلى الله قصد السبيل"

دكتـــور

حمدو جمعة أمين

أستاذ الأدب والنقد المساعد

بجامعة الأزهر

محمود حسن إسماعيل

في موكب الزمن

أ – مولده ونشأته:

ولد الشاعر محمود حسن إسماعيل فى الثانى من شهر يوليو عام ١٩١٠ م. ألف وتسعمائة وعشرة من الميلاد بقرية النخيلة مركز أبو تيج محافظه أسيوط.

وهذه القرية حباها الله من جمال الطبيعة وسحرها الشىء الكثير: فمن نيل ينساب متمأوجا تحت أغصان شجر الخروع وذقن الباشا التي يحمل الهواء رائحتها العطرة، إلى هذا الجمع الكبير من نخيل سامق متراقص يحكى أسرارا ويخفى أسرارا ومن ظل ظليل يفيىء إليه الشاعر فى صباه متأملا هائما فى جزيرة فى عرض النيل يصل إليها فى زورقه الصغير ليختبئ فى كوخه الصغير الذي أصبح صومعته الخاصة ومهبط إلهامه الشعري.

فى هذه القرية الجميلة وبين أحضان طبيعتها المعطاءة الخلابة تنفس الشاعر وعاش طفولته وشبابه الباكر الذي رسخ لديه معنى التأمل فى الحياة والطبيعة من حوله[1].

ب – تدرجه:

بعد أن أتم الشاعر دراسته الثانوية فى قريته التحق بكلية دار العلوم فى القاهرة حيث تخرج فيها عام ١٩٣٦م واتجه فى دراسته وجهة عربية إسلامية كما نبغ فى الشعر نبوغا مبكرا، فأصدر ديوانه الأول "أغاني الكوخ" وهو طالب عام ١٩٣٥ م.

وقد تدرج فى الوظائف الحكومية فعمل محررا بمجمع اللغة العربية

---

١) انظر: المختار من شعر محمود حسن إسماعيل ص٩، إعداد كريمة سلوان محمود ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٨م.

قبل إلحاقه بالإذاعة المصرية عام ١٩٤٤م. حيث تدرج فى العمل الثقافي بها وعين مستشارا للإذاعة وحقق قامة متوازية جمعت بين الجانب الإبداعي والجانب العلمي.

وقد أختير عضوا بلجنة الشعر للمجلس الأعلى للفنون والآداب منذ تكوينها، وعضوا بلجنة النشر والدراسات الأدبية للمجلس الأعلى، ونال جائزة الدولة فى الشعر سنة ١٩٦٤م عن ديوانه "قاب قوسين".

ثم عمل فى الكويت خبيرا فى مركز بحوث المناهج باذلا خبرته الطويلة فى مجال اللغة العربية والتعامل معها ومع رموزها وهو المتمكن فى هذا المجال.

جـ - وفاته:

توفي فى الكويت فى الخامس والعشرين من شهر إبريل سنة ١٩٧٧ عن عمر يقرب من سبعة وستين ودفن جثمانه فى أرض مصر[١].

الشاعر محمود حسن إسماعيل والطبيعة

تضافرت أمور عدة عند الشاعر جعلته يرتبط بالطبيعة ارتباطا قويا من ذلك:

أولا: نشأته الريفية في صعيد مصر:

فقد نشأ فى القرية حيث الزروع والثمار وجدأول المياه، وليل القرية الداجي، ونهارها الوادع، والعيش الهادئ عن رضى وقناعه فلا صخب ولا جلب، ولا ضجيج، ولا أصوات تضج المضاجع كحال المدينة، وإنما وداعة وقناعة وعمل دائب بين الأزاهر والحقول، والحيوانات، وتأمل فى الكواكب والنجوم، والشموس والأقمار، والليل والنهار، فالأرض مخضرة، وأنعم الله

---

١) المرجع السابق ص١٢.

منهمرة، وآيات الله فى الكون واضحة بينة.

كل ذلك شد الشاعر فلجأ إلى الطبيعة يتأملها، ويتدبرها فأخرج ذلك شعرا يفيض عن وجدان قوي، وينم عن عاطفة ثرية متأثرة. ومن هنا جاء قوله: "فشاعر بلا طبيعة مفقود الضوء لا يمكن أن تتسرب إليه الحقائق العليا التي يهبها الله للملهمين من الشعراء الذين اختصتهم الموهبة لكي يعزفوا على أوتارها ما يحسون به"[1] ولعل هذا يقوم دليلا على ارتباط الشاعر بالطبيعة التي أحبها وذاب فيها.

ثانيا: معاصرته لتطور الحركة الأدبية فى مصر:

حيث تفتحت منذ - صباه عيناه على آراء واتجاهات جيل المجددين، من أمثال زعماء مدرسة الديوان (شكرى والمازنى والعقاد) وهم يحملون على جيل المحافظين من أمثال شوقي وحافظ، وأضرابهما من الجيل المحافظ الذي اتخذ النمط الشعري القديم مثلا أعلى للشعر، وحيث عاب هؤلاء المجددون على المحافظين وقوفهم عند الحد الذي وقف عنده الأسلاف، وحيث دعا زعماء هذه المدرسة -مدرسة الديوان- إلى الوحدة العضوية فى القصيدة واللجوء إلى الطبيعة يبثونها آمالهم ويشكون إليها آلامهم، ونبذ شعر المناسبات.

ثم ما كان من ظهور جماعة أخرى على مسرح الأدب وهي جماعة "أبولو" الشعرية فى سنة ١٩٣٢ والتي حددت أهدافها فى:

أ) السمو بالشعر وتوجيه جهود الشعراء توجيها شريفا، أي محاولة الترقى بمستوى الشعر.

ب) العناية بالشعراء ورفع مستواهم المادي والأدبي والاجتماعى.

ج) تشجيع ناشئه الشعراء من أمثال: محمود حسن إسماعيل، وعلى طه، صالح جودت، مصطفي السحرتي - الصيرفي، وغيرهم. وكلهم قد أحب

---

١) المختار من شعر محمود حسن إسماعيل ص١١، ١٢.

الطبيعة وعشقها بل حاولوا أن يمتزجوا بها ويذوبوا فيها. وقد كانت عندهم – كذلك – مهربا يلوذون بصفائه من كدر الحياة، ويغسلون فى طهره ما يصيبهم من رجس العيش، ويجدون فى رحابته متنفسا لما يعانون من ضيق وتأزم.

ولا يكاد يخلوا شعر واحد منهم من ذلك الغناء الروحى الخالص للطبيعة التي تكون متنفسا لأحزان النفس، أو تعويضا عن فشل فى التكيف مع واقع الحياة وصراعات المجتمع ودنيا الناس.

من ذلك الشعر العازف على أوتار الغناء الذاتي فى أحضان الطبيعة الناعم قصيدتة "ريف النيل" وهي تسبيحات مجنحة للريف حين تتزين الطبيعة وتفيض من ألوان الحسن والجمال فنونا فيقول عن الريف:

تفجر فى صفحتيه الجمال ** ورف على جانبيه الخلود
وطوف ريحانه فى الجنان ** وفي كل منضورة بالوجود
يفتش عن روضه برة ** بفيء الظلال الرطيب الرغيد
وعن سحرها فى ركاب الضحى ** وقد لبست أرجوان الورود
تخطر فى حلة من شعاع ** موشى بطل الصباح النضيد
وريانة فوق خد الربى ** ترعرع من عجبها أو تميد
إذا داعب النسم أعطافها ** تفتق عن لؤلؤ فى الخدود
من الفُلّ أو من بنات الأقاح ** تضح بالطيب جيب النجود[1]

ففي كل بيت لمحة بارعة لزهرة أو لصبح أو شعاع أو لنسمة. كل ذلك فى صوغ فني وعشق صادق للطبيعة والتوحد الروحى معها.

ومن ذلك أيضا قصيدة له يصف فيها مشهدا من مشاهد الطبيعة التي شغف بها الرومانسيون وهي قصيدة "عروس النيل" التي يبدؤها بهذه

---

١) أغاني الكوخ ص ٢٧

الأبيات:

سارت إلى جدولها الدافق ** سير الكرى فى مقلة العاشق
وانية الخطو كأن الثرى ** يحمل منها خطرة السارق
شاهدتها والشمس فى أفقها ** تحكي فؤاد الثائر الحانق
والشاطىء المسحور من روعة ** يسبح فى موكبه الغارق
كأنه دنيا المنى أقبلت ** تلمح فى ليل الشجى الغاسق

فهو يصف مشهدا من المشاهد المألوفة فى ريف مصر، مشهد واحدة من حاملات الجرار على رؤوسهن وهن يردن موارد الماء يملأن جرارهن من جدول من جداول النيل ويعدن بها مملوءة إلى دورهن أو إلى أكواخهن. لقد سارت حاملة "الجرة" إلى ذلك المورد وهي تمشى الهوينى فى وقت الأصيل حين رآها الشاعر، ورأي الشاطىء مسحورا وكأنه يسبح فى خضم الأمواج وقد أشرق بابتسامة المستبشر بإقبال الأمانى قبل أن تغيب الشمس، ويسود الظلام.

ويصور الشاعر لهفة الجدول أو البحر كما يسميه، فقد جن جنونه عندما انعكست على صفحته الصافية صورة أحلام هذه الريفية حاملة الجرة، وهي تهبط على ساحله لتملأ جرتها، وأخذت أمواجه تداعبها، فتصفق على ساقيها مفتونة بجمالها الساحر الذي فتنت به الكائنات فارتاع طيف الشمس حين بدا جبينها يشع بالأنوار وأخفي سناها سائر الأضواء، وكأنها خجلت من نورها الوضاء فيقول:

جن جنون البحر لما رأي ** أحلامها من فيضه الرائق
فصفق الموج على ساقيها ** من فتنة كالواله الخافق
وريع طيف الشمس لمازها ** جبينها عن لمحه البارق
فمالت الأضواء عنها لما ** أخجلها من نورها الشارق
تمتح بالجرة من منهل ** صاف كريق الكوثر الدافق

ينساب فوق التبر فى سندس ** نضر ونخل مثمر باسق
يهزج فى الوادى بأنشودة ** ألحانها من وتر الخالق[1]

وإذا نحن أمعنا النظر فى هذه القصيدة لرأيناها تفيض بصور الخيال التي منحت الحياة للجماد وخلعت عليه أوصاف الأحياء من البشر فجعلته يحس ويتأثر وينفعل ويتحرك. فالشاطىء يسبح فى موكبه، والبحر يجن جنونه، وطيف الشمس يرتاع والأضواء تخجل، والجدول يهزج بأنشودته.

كما تفيض القصيدة بالبديع من التشبيهات والجميل من الاستعارات التي تنبع من خيال خصب وفيها من معالم الرومانسية دلائل الهروب من الحياة إلى عالم الطبيعة والهيام بجمالها.

يقول استاذنا الدكتور / بدوى طبانه فى كتابه "كوكبه" من شعراء العصر "إذا قيل إن محمود حسن إسماعيل كان فى طليعة الشعراء الرومانسيين فى الشعر العربي الحديث فإن هذا القول أصح الأقوال وأقربها إلى الصواب، يؤكده شعره المنثور الذي يحفل بخصائص الاتجاه الرومانسى أو الاتجاه الإبداعى.

وأول ما يطالعك من معالم هذا الاتجاه فى شعره تلك اللوحات الفنية التي صورتها بالكلمات ريشة فنان صناع، وصف فيها مشاهد الطبيعة وصف المستهام بها الذي تفاعلت أحاسيسه ومشاعره مع آيات الإبداع التي يرصدها فيها.

ومنها تلك الصور الناطقة ذات الأفكار المتجسدة والمعانى المتحركة والأخيلة البديعة المجنحة التي برع فى تأليفها وتركيبها.

ومن التعبير عن خلجات النفس، وعن العواطف الحادة المشبوبه بين جوانحه، ومن حرارة الانفعال بالتجارب الشعورية التي يعانيها.

---

١) أغاني الكوخ ص ٤٥.

كل ذلك تراه رأي العين فى قصائده ومقطعاته، بل إنك تراه واضحا فى كل غرض من الأغراض التي عرض لها، حتى فى ذلك الشعر الذي دعت إليه سوانح أو مناسبات خارجة عن ذات الشاعر أو عن تجاربه الخاصة[1].

ثالثا: قراءاته الأجنبية:

على أنه لا يخفي أن الشاعر كان قد اطلع على الآداب الأجنبية. فقد ازداد الاتصال بالآداب الغربية فى تلك الآونة أي منذ مطلع القرن العشرين وزادت الترجمة لكبار الشعراء الغربيين مع التوضيح لمذاهبهم وبذلك أصبحت الآداب فى متناول الشعراء الشبان.

ومن هنا وجدنا الشاعر يتشبع بآراء ووجهات نظر الشعراء فى الطبيعة خاصة الشعراء الإنجليز. وقد سجل إعجابه بهؤلاء الشعراء فى خاتمة ديوانه "أغانى الكوخ" ونقل بعض أقوالهم عن الطبيعة.

من ذلك قوله: "وكان الشاعر الإنجليزي "بيرس شلى" يحب الطبيعة ويتلهف على الحياة فى كنفها. وهذا نداؤه إليها متبرما بحياة المدن وضجيجها: "تعالى بعيدا عن الناس والمدن إلى الغابة الوحشية والوهاد والبرية الصافية، حيث لا تكبت الروح موسيقاها مخافة ألا تجد لها صدى فى النفوس الأخرى. .. هنا فن الطبيعة الخالدة، يؤلف توافقه وانسجامه بين القلوب".

ولـ "بيرن" الشاعر الإنجليزي أيضا كلمة فى هذا المعنى تعبرعن إحساس قوى بالحنين إلى الطبيعة والخلود إليها لآلامه ومشاعره إذ يقول: "إن الطبيعة المحبوبة لا تزال أبر أم لنا. .... فدعنى أرتم فى صدرها الحنون، فإنها أجمل ما تكون فى مظاهرها الوحشية، حيث لا شىء إلا الفطرة والوداعة والبعد عن كل زينة وصنعة. ... أيتها البحيرة الراقدة فى

---

١) كوكبة من شعراء العصر د/ بدوي أحمد طبانه، ص٢٣، طبع الشركة المصرية العالمية للنشر -لونجمان سنة ١٩٩٥ الطبعة الأولى.

ظلال السكون لقد لجأت إليك فى هذا العالم الصامت. إن فيك لدفئا لفؤادى، وإن فى مياهك الهادئه لراحة وسلوانا لنفسى"[1].

كل هذه العوامل جعلت شاعرنا يرتبط بالطبيعة ارتباطا وثيقا بحيث أسرت مشاعره، وملكت عليه عواطفه، فاندمج فيها بآلامه وآماله. على حد قوله: "والطبيعة فى كل زمان ومكان تأسر مشاعر الإنسان وتملك عواطفه فيندمج فيها بآلامه وآماله، وكل إنسان فى الحياة شاعر بالجاذبية الخفية بينه وبينها إلى حد ما، غير أن هذا الإحساس بالرابطة القوية بين النفس البشرية وبين الطبيعة يتفاوت عند الناس حسب استعدادهم، وقوة إدراكهم الفطرية، فإحساس الرجل العادي الذي لم يوهب شعورا كاملا يختلف كل الاختلاف - بل ينقص نقصا كبيرا - يصل به إلى حد التلاشى بالنسبة إلى إحساس الشاعر الذي وهب قوة عليا تمكنه من تصوير شعوره إزاء الطبيعة والترجمة عما يخالج نفسه من أثر الاندماج فيها، فهو يحس بكل ما تتحمله هذه الكلمة من معان، حتى لقد تمتزج هذه الإحساسات فى نفسه فيترجم عما يراه بعينه بسمعه، وعما يسمعه بأذنه بنظره. وهذا ما يعبر عنه بمزج الأحاسيس[2].

ويدلل على ذلك بالأمثلة الحيه التي تدل دلالة قاطعة على أن الناس جميعا يتعلقون بالطبيعة وإحساسهم نحوها، غير أن أحاسيسهم تختلف "فالفلاح يعيش بين أحضان الطبيعة طول يومه وتغمره بكل مظاهرها: من دبيب الحشرة السارية بين الغصن والورقة الملتفة عليه، إلى تموج الشعاع فى عينيه على الحقول البسيطة، ومن زفة الفصاد الهامسة فى رأد الضحى بين يديه إلى نعيب البومه فى جنح الظلام، وأنين الدولاب الصارخ فى الفضاء، ومن همسة الجدول مع السفير إلى الموج الهادر على شط النهر.

---

١) أغاني الكوخ ص ١٧٦، ص ١٧٧.

٢) المصدر نفسة ص ١٧٣.

ولكنه مع كل ذلك لا يصل به إحساسه بتلك المظاهر إلا إلى أنها وسائل لمنفعته الخاصة، تهتز السنبلة فى مزرعته فيهتز فرحا لأنها ثمرة من ثمار عمله، وتئن الساقية فى ربوته فيطرب لها، لأن من دمعها ري نبته وسقيا غراسه.

وليس كذلك الشاعر المتأمل الذي يحس إحساسا ينفذ إلى ما وراء تلك المظاهر التى فتن بها الفلاح فتنة عابرة وأحس بها إحساسا مجردا، فالشاعر والطبيعة روح واحدة ممتزجة، تصفر القبرة فكأنما تسلسل روحه فى صفيرها، وتنوح الساقية فترجع له أصداء الآلام الإنسانية، ويرى فى ذلك الثور لمستعبد الذي يلهبه الفلاح بسوطه حتى يمسه اللغوب وهو صادح خلفه بأغانيه الوديعة.

معنى خفيا ترمز به الطبيعة إلى قوة القدر التي تسخر الإنسان وتسوقه إلى المخابىء البعيدة عن إدراكه وحسبانه.

ولهذا أحب الشعراء الطبيعة وفتنوا بها من قديم الزمن وأودعوا جمالها وأسرارها فى أناشيدهم وشكوا إليها آلامهم وتعزوا بها عن نكبات الحياة[1].

من هنا جاء شعره المبكر فى القرية وطبيعتها حيث الجمال الطبيعى الذي تبلج به ريف مصر، ريف ناعم الأظلال وريف الأفياء تضّرت قيعانه تلك اليد السوداء يد الفلاح حاملة الفأس عامة النهار لا تكل من هاجرة ولا تنكمش من زمهرير. على ما سأعرض له -إن شاء الله- فى العنصر التالى:

---

١) المصدر نفسه ص ١٧٤، ص ١٧٥.

القرية فى وجدانه

احتلت القرية مساحة واسعة من وجدان محمود حسن إسماعيل، حيث جاشت عاطفته نحو القرية وأهليها، فرثى للفلاح شقاءه، وتعاطف مع أحزانه وبؤسه، وجسد حزن قريته منذ صباه، حين رأى أبناء قريته الفلاحين يتعبون ويكدون، يشقون الأرض ويبذرون الحب ولا يأخذون إلا الفتات. أيدى الفلاحين المشققة تعمل فى الحقول ليل نهار، ولا تجنى إلا الفقر والجوع والحرمان، تفتحت عيناه على حياة كادحة تتجلى فيها تعاسه الفلاحين فى مصر، وشظف حياتهم، ومظاهر كدحهم الدائب وبؤسهم العميق، وصبرهم الطويل، وتشوقهم إلى عالم فيه لهم الأمان والاطمئنان. فهم فى أكواخهم:

يغفون والكلب على مهدهم ** سهران لايغفي له ناظر
يصرخ إن أغرته أطيافه ** أوراعه بالسطوة الخاطر
إن غاب نجم فوقهم سحرة ** فهو على أرواحهم حاضر
أو أرجف الليل ينادى به ** حلفت ياليل، أنا الخافر
أرعى عيونا أمعنت فى الكرى ** وهالها بحر الرؤى الزاخر
تحلم أن الكوخ فى جنة ** يزهو عليها السندس العاطر
وأن أهليه على رفرف ** فى الخلد لا يسموله طائر
حظوظهم من طيبات المنى ** وعيشهم مبتسم ناضر
حتى أراق الفجر أقداحه ** وانساب منها ضوءه الغامر
مرت عليهم ساريات الصبا ** ينفخ منها السوسن الباكر
فاستيقظوا والكوخ فى غفلة ** مادار فيه بالمنى دائر[1]

لقد أقلقه وأضج مضجعه أن المعاناة التي يعانيها الفلاحون لا ثمن

---

١) ديوان أغاني الكوخ ص ١٧.

لها إلا ما يقيم الأود ويبقى شعلة الحياة لتبذل تلك الأيدى الجهد من جديد. يشقى الفلاح ويتعب من لدن الفجر إلى العشاء، يكد ويجد، يبذر الحب والحصاد للقصر المنيف صاحب كل شيء:

يلقى عليه الديك ارجوزة ** غنى بها اصباحه السافر
كأنهينعى ممات الدجى ** ونعشه فوق الربى سائر
شالت بزرع النيل أكتافه ** وما رعاه البلد الغادر[1]

لقد هزه جهد هذا الفلاح البائس الشقى الذي يراه العابر من أقصى الوادي لأدناه منحنى القامة فى قميص أزرق مكبا على الأرض، يغرس فيها الحب ويرعى النبت الغض الوليد ويحصد اليابس الذي استوى على سوقه، وأدى ثمره لغارسه، غير أنه لم ينل منه إلا كسرة معفرة سوداء، يأكلها بين زوجه وأولاده فى كوخه الضيق الذي ينكمش فيه مع البهائم والحشرات. ذلك هو الرجل الذي لولاه ما أسرع وادي النيل، ولا زكا نبته، ولا تفتحت فسائله. تراه فى الضحى فانيا فى مزرعته حرثا وتقليبا، يتصبب جبينه عرقا وهو هادىء ساكن، لا يشكو تعبا، ولا يعتريه ملال، يتغنى خلف قطعانه أغاني تفيض براءة وطهرا كأنها زجل الطير، وهو فى عزلته هذه عن العالم يرى أثرا من نعيم المدن فى طائرة تنساب فوق رأسه، أو نغمة فارهة يتراءى بها ثرىّ فى قريته من أولئك الذين يقيمون جاههم على أكتافه، فلا يتألم، ولا يحقد، ولا يتبرم بعيشه بل يمضي فى حياته قانعا بكل حال، يرضيه من تلك الجنة التي نضر غرسها، ورعى ثمارها عشب ذو تصطدم به قدمه أو ثمرة تساقطت من ظفر طائر يعود بها لمواشيه وأولاده فى غبطة وسلام[2].

---

١) المصدر نفسه ص ١٨.

٢) خاتمة ديوان أغاني الكوخ ص ١٧٩.

ولهذا فهو دائم البكاء عليه شديد الحزن على ما وصل إليه حال ذلك المسكين ..

ذاك تـاج النيـل فـاندب عنـده ** أمـل الفـلاح والجهـد المضـاع
وأرث للمسكين عيشا أسـودا ** ران فـى كـوخ حقـير متـداع
نـامت النعمـة عنـه وجفـت ** معدما لم يرعه فـى مصـر راع
عفـرت ريـح الأسـى كسـرته ** وطـوت نعمـاءه دنيـا الصـراع
رقـص القصـر علـى أكتافـه ** وهـو جـاث بيـن ذل واقتنـاع
وسـطا البـؤس عليـه، فغـدا ** زورقا فى اليم محطوم الشراع[1]

لقد هزه هذا الواقع المر الذي كان يعيشه فلاح القرية المصرية - آنذاك- ممثلا فى فلاح قريته "النخيلة" فانطلق يشدو بشعر يفيض حرارة وينم عن شعور بالألم والمرارة نحو الفلاح، ويعبر أصدق تعبير عن تلك العواطف الجياشة التي انطوى عليها وجدانه الحزين، ويترجم عما يعتمل فى فؤاده من آلام وما يختلج فى نفسه من آمال نحو القرية، وقد ظهرت تلك العواطف الحارة النابعة من سويداء فؤاده تجاه القرية فى أكثر من قصيدة له. بل إن دواوين له ثلاثة هي: أغاني الكوخ , هكذا أغني، أين المفر. ضمت كلها بين جنباتها همومه ووجداناته نحو القرية وقاطنيها.

وقد جاءت هذه القصائد التي تضمنتها هذه الدواوين، لتعمق الإحساس بالريف ومآسيه، وبالفلاح والظلم الاجتماعى الواقع عليه، فعبرت تلك القصائد بصدق عن عوالى السواقى وهي تذرف حسرة الإنسان لتراب الكوخ، كما عبرت عن إطراق الوجوه الطيبة التي طحنت إباءها مسيرة الظلم على أيامها الصابرة، وجرعتها مرارة الرق، وسلبتها الطمأنينه وأذاقتها الذلة والهوان.

---

١) ديوان أغاني الكوخ ص ٢٦.

كذلك جاءت تلك القصائد لتعبرعن الضجر القاتط الذي أخنى على كاهل الفلاح بألفة القهر والفقر وقناعة الحرمان، وأخيرا عبرت عن أعماق ليل هذا الشجن المخنوق الأوار فى صدر القرية على حد تعبير الشاعر نفسه[١].

وكان مما قوى هذا الوجدان عنده وألهب عاطفته نحو القرية فاندفع يصور آلامها ويندمج مع مظاهر الطبيعة فيها، تلك النزعه الرومانسية التي ملكت عليه أقطار نفسه، بل واستولت على نفوس كل الأدباء الرومانسيين فى الآداب العالمية المختلفة نتيجة تلك الفجوة بين أحلامهم وطموحهم وبين واقع الحياة الذي يعيشون فى ظلاله، إذ كان يدفعهم هذا إلى اللجوء والهروب إلى الطبيعة يغسلون فى رحابها أوضار نفوسهم.

ومن هنا فقد اهتموا بموضوع تصوير البؤس وإبراز بعض الجوانب المظلمة فى المجتمع، فعنوا بتصوير تعاسة الريف وشقاء الفلاح وما يعاني من فقر وتخلف، وما يقاسي من ظلم وقهر.

ولذلك رأينا رائد جماعة أبولو المصرية فى مصر أحمد زكى أباشادى يعنى بالفلاح، محملا المجتمع إثم تخلفه، بل مجاهرا بأن المجتمع سيظل مجرما حتى ينصف الفلاح المظلوم إذ يقول:

هو ذلك الفلاح يا قوم الذي ** يحيا حياة سوائم ورغام
وهو الذي لولاه ما ارتفعت لنا ** رأس، ولا كنا من الأقوام
إنا جميعا مجرمون إزاءه ** حتى يخلص من هوى الإجرام
حتى ينال حقوقه فى عيشة ** خلصت من الأدران والأسقام[٢]

وقد ظهر هذا الاتجاه جليًا فى شعر محمود حسن إسماعيل حتى لقد

---

١) انظر: ديوان أغاني الكوخ ص ١١.

٢) ديوان الشفق الباكي لابي شادي ص٨٣٢ مطبعة التعاون بالقاهرة سنة ١٩٢٧م.

أصدر ديوانا كاملا هو " أغانى الكوخ " جعل محوره القرية وساكنيها وقصد فيما قصد تعميق الإحساس بالريف ومأساته وتوجيه نظر المسئولين إلى العنايه بالفلاح.

ولنعش مع بعض نماذج من شعره لنتعرف من خلالها على وجدانه وعاطفته نحو القرية. ولنبدأ بنموذج يمثل ذلك الوجدان الملتهب نحو القرية من قصيدة له عنوانها " الليلة الهاجعة فى ضوء القمر " تلك القصيدة التي عبرت فى صدق وعمق عن التجربة التي كان يعانيها حيث رسم صور قرية من قرى الصعيد فى الليل الساجى فى ضوء القمر وقد هجعت القرية بعد كر وتعب فبدت كعروس اتخذت من الطبيعة مهادا حيث:

لفها الليل فاستراحت من الأين ** على حضنه الرقيق الهنىّ
وسدتها الأضواء من لمحها الصافي ** وساد الطبيعة العبقرىّ
وحبتها المهاد موجة نور ** اشرقت فى ترابها القرمزىّ
لمعات من وجنة القمر الزاهي ** وفيض من ثغره العسجدىّ

وفي هذه يفصح الشاعر عن وجدانه الحار وعاطفته الملتهبه نحو قريته طالبا منها أن تصغى إلى لحنه الشجى الذي ضمنه حبه العميق لقريته، ذلك الحب الذي ملك عليه أقطار نفسه:

إيه يا قريتى أصيخى لشاد ** سكب اللحن فى رنين شجىّ
شاعر هزه هواك فغنى ** لك أنشودة الجمال البهىّ
مد أوتاره أشعة بدر ** غارقات فى صمتك السرمدىّ
ساحرات النهي برعشة أطياف ** تراقصن فى الفضاء الوضىّ
ناهلات كأنها حلم صب ** تاه فى سكرة الهوى العذرىّ

ويرى الشاعر فى قريته مصدر تأمل وآية من آيات الله عزوجل فهي مظهر من مظاهر قدرته تعالى التي بهرت الألباب وأخذت بمجامع

القلوب فأرشدت الحيارى الضالين وهدتهم إلى سواء السبيل، كما أنها فضحت كل ملحد غوى:

بهرة للعقول تملى على الكون ** نداء الطبيعة العلوىّ
تلهم الرشد للضلول وتلقى ** معجزات الهدى لكل غوىّ
وتسوق الإيمان للجاحد الغاوى ** فتنضو من قلبه كل غىّ
فضحت كل ملحد حين أخفت ** قدرة الله من سناها العلىّ

إلى أن يقول:

هي فن السماء لاح على الأر ** ض بلوح منمق موشى
كم شجى عاشقا وهاج ادكارا ** فى فؤاد من الشجون خلى

ثم يعود إلى قريته يبثها آلامه وأشجانه ويستعيد فيها ذكرياته، وما أثارته تلك الذكريات من أشجان، وما هيجت فيه من كوامن الاشواق، وما خلفته تلك الليالى الخوالى من آلام وأحزان. فيقول:

إيه يا قريتى لقد شف نايى ** شجن فى الحشا عظيم الدوىّ
غرسته يد الليالى بقلب ** شد ما ذاق من أساها العتىّ
فشدا فى رباك بلبل أيك ** هيجته خواطر بالعشىّ
صرخ البؤس فى أغانيه لهفان ** على فرعه الرطيب الجنىّ
ناج فى جنه تلقن بشادي ** ها نشيد الهناءة السحرىّ[١]

كما نحس مقدار تلك العاطفة التي اصطبغت بالصبغة الحزينة نحو القرية وهو يحدثنا عنها فى قصيدة أخرى عنوانها "جلاد الظلال" والتي يقول

---

١) انظر: القصيدة بتمامها فى ديوان أغاني الكوخ من ص٥١ ص٥٨ وعدد أبياتها سبع وخمسون بيتا.

فيها:

احب لياليها وأهـوى ترابها ** وأهوى غروب الشمس فى أفقها الظمـى

وكان الشاعر قد فقد فى هذه القرية أليفا له فامتلأت نفسه بالحزن والهواجس واحتدمت كل الأفكار الحارقة الملتهبة فى رأسه فتحول إلى هجير تائه، ومن هنا حول كل شىء إلى لظى، كما تحولت الخواطر فى نفسه إلى سياط تؤرق كيانه ونار تحرق قلبه حيث يقول:

فقدت أليف الروح بين شعابها ** وعدت بحزن المستطار المتيم
كأنى هجير تائه فوق أرضها ** يغنى بنأي من اسى النفس ملجم
شواظ ولا نار ونار ولا لظى ** ورؤيا لهيب فى خيالى وفي دمأي
وموقد عبادين مات لهيبه ** وشبت اغانيه سعيرا بأعظمى[1]

بل إن أبرز ما يتجلى فيه وجدان محمود حسن إسماعيل نحو القرية وعاطفته نحو فلاحيها ما يقوله فى الساقية جاعلا من بكائها رمزا لبكاء نفسه، ومن الثور المغمض العينين الذي يدور والنير على كتفيه والسوط يلهب ظهره رمزا لهذا الفلاح الكادح المعذب الذي أغمض الجهل عيونه، وأثقل الذل كاهله، تماما كهذا الثور الذي تنوح عليه الساقيه، أو تنوح عليه نفس الشاعر. فيقول فى وجدان مفعم بالألم والحزن من قصيدة له سماها "القيثارة الحزينة" وافتن أيما افتتان فى وصفها، وفي تشبيه صوتها بعويل الثكالى، وبظنين النحل وبشكوى العشاق من برح الأشواق ولوعة الفراق، وبدمع المحزونين. وهي طويلة أجتزئ منها هذه الأبيات:

ناحت فلا الزهر على عوده ** ألقى عقود الطل من جيده
ولا مغنى الطير فى وكره ** أرق لها وازور عن عوده

---

١) ديوان أون المفر للشاعر ص٦٧١ المجلد الأول من الأعمال الكاملة للشاعر طبع دار سعاد الصباح سنة ١٩٩٣م.

ولا رثى المطراب فى أيكه ** من ساجع الروض وغريده
خرساء لكن صوتها صارخ ** يذيب قلب الصخر من وجده
لها طنين النحل فى قفره ** بهاء لم تبق على مشهده
لها عيون دائمات البكا ** بمدمع كالسيل فى رفده
تفنى دموع الناس من فيضها ** ودمعها باق على عهده
دؤوبة الشكوى على راسف ** فى الذل مفجوع على جَدَّه

ثم يأخذ فى الحديث عن الثور الذي تنوح عليه الساقية رامزا به إلى الفلاح ذلك المسكين الذي يدأب ويكدح ولا يناله شئ إذ يقول فى القصيدة ذاتها:

دارت به البلوى فما راعه ** إلا عماء غال من رشده
أعمى رماه البين فى داره ** لم يدر نحس الخطو من سعده
شدت حبال الذل فى رأسه ** وفت صرف الدهر فى كبده
منادح الضجة فى أذنه ** وملعب السوط على جلده
والسائق الأبله لا ينثنى ** عن ضربه العاتى وعن كيده
يتلو على آذانه سورة ** من قسوة السيد على عبده[1]

ثم تجىء رائعته التي يصف فيها القرية المصرية عموما وليس قريته على وجه الخصوص وسماها "الفردوس المهجور" فتقرأ فيها هذا الوصف البديع حيث أوفي الشاعر على ما أراد من وصف الطبيعة فى ريف مصر فى نضرتها وبهائها. هذا الوصف الجامع المستقصى لمظاهر الحياة فيه. كما أبرز فيه عظمة مصر وحضارتها الخالدة الباقية والتي هي محل

---

١) ديوان أغاني الكوخ ص٦١ – ص٦٤ والقصيدة عنوانها "القيثارة الخزينة" وتقع فى ستة وعشرين بيتا.

إعزاز وتقدير من سائر الشعوب والأجناس والتي يقول فيها:

وترفل في سندس ضاحك ** ترنح من سكرة بالنشيد
إذا شامت الخلد في مجده ** تجر على الخلد ضافي البرود
فما هزه للمقام الهنيء ** سوى جنة فوق هذا الصعيد
ترنم من سحرها "بنتنور" ** وأوحت لـ " شوقي " أغاني الخلود
وخر الفراعين في عزهم ** إذا شمسها شارفتهم، سجود
وحج الفرنج إلى ساحها ** كأن الصليب على كل عود
يعبون منها الرحيق الشهي ** وأبناؤها يشربون الصديد
تنفس سوساتها عن شذى ** كحلم الأزاهير ذاك شرود
يضوع لنا شقه بالشباب ** والأمل المستطاب السعيد
إذا استافه العاشق المستها ** م تنسم رياه طيف العهود
وينشقه الطير فوق الغصون ** فيسكب في الروض خمر القصيد
يغني فتحسب ألحانه ** من الوجد أنغام شاك عميد

ثم يتابع وصفه للقرية قائلا:

وريّانة فوق خد الربا ** ترعرع من عجبها أو تميد
إذا داعب النسم أعطافها ** تفتق عن لؤلؤ في الخدود
من الفل او من نبات الأقاحي ** تضمخ بالطيب جيب النجود
ترقرق في مهدها جدول ** عطوف على الزهر عذب برود
تسلسل من نيله كالأماني ** ترف علما ناعمات المهود
وألقى الزمام إلى حادب على ** الأرض يغرس فيها الجهود[1]

---

١) المصدر السابق ص٢٧ - ص٣٣.

وقد هزه منظر غروب الشمس على قريته، وحرك وجدانه فشرع يرقبها غاربة وهي تجمع أشعتها الذهبية، فبدت كفتاة مودعة حبيبها شاكية ألم الفراق بعد عشق وعناق، وقد سبحت حقول القرية فى أثير ذهبى، على حين أسف وحزن فى هذه الآونة وما احتوته حقول القرية، فكأن مياه الجداول دموع، وصياح الحيوانات نواح على ذلك الثور المقيد الذى مازال يدور بالساقية من مطلع الشمس حتى الغروب. هذا ما ترجمته قصيدته "المساء" وأطلق عليها من خواطر المساء فى القرية وقد جاء فيها:

ووجنة الشمس حين تبدو ** بشاطئ الأفق فى احتراق
كأنها كاعب تعانى ** مرارة العشق فى الفراق
ويسبح الحقل فى أثير ** ومُذَهَب الوشى والنطاق
أزاهر القطن فيه لاحت ** صفراء عذرية العناق
تصيح للجدول المغنى ** بمدمع فى الثرى مراق
وتسمع النوح من أسير ** مقيد هام بالسواقى[1]

وقد هاجه وحرك وجدانه ما هاج القرية من ذلك الصمت الرهيب الذى تعيشه القرية فى جنح الليل البهيم فنراه يقول من قصيدته "ثورة الضفادع" فى القرية:

هاجها فى الليل صمت غمرت ** كل نفسى فيها آلام الشجون
وضفاف غارقات فى الكرى ** حالمات بأسى الريف الحزين
نام فيها الموج حتى خلتها ** خاصمت كل نسيم فى الدجون
وطريق أخرس ما همست ** فى ثراه خطوات العابرين
وصخور لم تذل راصدة ** فى محيط الكون ملاح السنين
ونخيل فضحت أظلاله ** فى ثنايا الماء طهر الساجدين

---

١) المصدر نفسه ص٩٧ وما بعدها.

ونجـــوم بعثرت أضـــواءها ** تكشف الأســرارعن سر دفين

فأخذ يتامل فى أصغر مظاهر الطبيعة - وفي أصغر مظاهر الطبيعة ما ينبت غراس الحكمة العليا فى أرواح المتأملين - وذلك حينما أخذ يقطع سكون الليل صوت الضفادع:

فغدت تصرخ فى جوف الدجى ** صرخات هتكت ستر السكون
أرغن الشيطان يشدو ملقيا ** ثورة الأنغام فى وادى المنون
ونقيقا أزعجت ضوضاؤه ** أذن الكون وسمع النائمين
جاوبته فى الدجى صافرة من ** بنات البوم صاحت فى الوكون
تتحدى الليل فى رهبته ** لو يجلى غامض السر الكمين
سكنت أغبر مهجور الحمى ** مكفهر اللمح كالطيف الحزين
ولديها كل روض مونق ** ريّق الأنداء ضحّاك الجبين
أىّ سر فى البلى هامت به ** غاب فى طياته لا يستبين؟!

ويختم قصيدته تلك والتي أطلق عليها اسم "ثورة الضفادع" بوصف مظاهر الطبيعة فى القرية فيقول:

والنسيم الغضّ يسري ناعما ** كالمنى تهفو بمهد الحالمين
جنة غناء لفتها الربا ** فى حماها لفة الأم الحنون
فغلام النوح فى أفيائها ** ولم الضجة فيها والأنين؟[1]

وهكذا برز وجدان محمود حسن إسماعيل نحو القرية، حتى إنه ليغلب الجانب الوجدانى على المضمون الشعري، بحيث غدت العاطفة - عنده- أهم مظهر فى نسيجه الشعري أو بعبارة أخرى أصبحت العاطفة تمثل

---

١) أغاني الكوخ ص١٤٣- ص١٤٩.

أهم ما عند الشاعر وأبرز ما يحاول نقله إلى المتلقين، وقد غلب طابع الحزن على تلك العاطفة، حيث صدرت عن أسى ومرارة وأثارت فينا الشجن فى كثير من الأحيان.

مظاهرشعره فى القرية

لم يترك الشاعر محمود حسن إسماعيل مظهرا من مظاهر القرية الطبيعى إلا تناوله شعرا يفيض رقة وشعورا، ينم عن تعاطف مع ساكنيها، وإشفاقا عليهم، ورثاء لأحوالهم الاجتماعية -إبان عصر الشاعر- حيث هزه ما كان يعانيه الفلاح من كد وعناء، ولا يجني من وراء كده وعنائه إلا الفقر والجوع والحرمان.

ومن هنا جاء ديوانه الأول "أغانى الكوخ" معبرا عن تجاربه الشعورية نحو القرية وقاطنيها، فكان بحق حدثا فريدا فى عالم الشعر، حيث جعلنا -من خلال تجاربه الفنية- نجوس خلال القرية المصرية ومظاهرها الطبيعية، فنشم أريج الحقول، ونقطف جنى الثمر، ونلمس أغصان الشجر، ونرى زهرة القطن وسنابل القمح، وزهرة الفول، وعناقيد العنب، وتمر النخيل، وأعواد البرسيم الذى اتخذ منه الراعى زمارته، والنيل فى انسياب مياهه والسفن تشق بحيزومها عظيم أمواجه، ونسمع خرير الماء، وهدير البرزخ، وثورة الضفادع، وغناء الراعى، وتشجينا أحزان الشمس وقت غروبها، وتسعدنا وقت شروقها.

ويطول الحديث بى لو أننى استرسلت فى تسجيل كل ما ضمنته دواوينه عن القرية ومظاهرها، فشعره فيها وفير، وقريضه عنها غزير ولكنى سأكتفي بذكر مايلى:

١ - الكوخ

وهو أعواد من قصب الذرة وجريد النخيل وصل بعضها إلى بعض،

يستكن فيه الفقراء، أو الرعاة الذين لا يجدون لأنفسهم مأوى فى دار مبنية. فهو مسكن فى العراء يقى أولئك المحرومين لفحات الحر وغائلة البرد.

وقد صور الشاعر الكوخ فى شعره نافذا منه إلى تصوير حياة البؤس الذى كان يعيشها الفلاح حينذاك. وقد رأى عن كثب حياة الشقاء التي كان يحياها الفلاحون، وذلك حين كان يأوى إلى كوخه فى جزيرة تقع فى وسط النيل مواجهة لقريته " النخيلة " يصل إليها بواسطة زورق صغير حيث كان يلجأ إلى الطبيعة يتأمل آيات الله فيها، ويتدبر صنع الله فيما أبدع. فشرع يصغى إلى ألحانها وهي ترددها باسمة فى عالم الضياء وترجعها عابسة فى أودية الظلام، ثم تستوعب ذلك كله مشاعره القلقة بين الرضا والسخط، واللذة والألم، وتستلهم شاعريته مظاهر هذا الكون الدقيق فى أرضه وسمائه، ومائه وهوائه، وحركاته وسكناته، فترسم ظلالها وانعكاساتها فى مجتلى من البيان نتيجة تجارب وجدانية عاشها الشاعر منذ تفتحت أكمام الشاعرية فى صباه.

ومن هنا رأينا ديوانه الأول "أغانى الكوخ" يعكس عاطفة مشبوبة ويفصح عن وجدان مفعم بالألم نحو أهله وعشيرته وأبناء جلدته من الفلاحين البؤساء الذين قهرهم الظلم وعاشوا فى فقر وحرمان.

وقد أفصح الشاعر عن تلك العاطفة المبكرة الحزينة وهذا الوجدان المفعم بالألم حين قال فى ختام هذا الديوان: "لم تكن الروح التي أوحت أغانى الكوخ فيما طالعت من شعر الطبيعة بهذا الديوان وليدة عام أو عامين أو أكثر، ولكنها فى الحقيقة وليدة شباب كامل حضنته الطبيعة فى ريف مصر منذ الطفولة اللاهية إلى عهد قريب تغلغلت به روحى الشابة فى جميع مظاهر الطبيعة وأسرارها حتى امتزجت بها الامتزاج الذى أورثها الحنين الدائب إلى تلك الحياة الهادئة بين الحقول المصرية الممرعة، والقرى النائمة على ضفتى النيل، وخلّفت فى دمى الشوق إلى الحياة بين رباها وأزهارها ونحلها وأطيارها ونخيلها الساهم فى سكون الفضاء كأنه معاصم

نساك تطير الدعوات إلى السماء وأكواخها البريئة التي تشركهم فيها الدوائب ودواجن الطير، وتقاسمهم شظف العيش وبؤسه فى حياتهم الطبيعية التي لم تخرجها عن القنوع والغبطة تلك النزعات التي تلتهم بها المدينة عيشها التهاما، فى تناحر ماتت به كل معانى الرحمة والتعاطف بين الأسرة البشرية المتحضرة[١].

وأكثر الشعر فى أغانى الكوخ ينبع من الإحساس العميق لحب القرية، والحنين المستعر إلى العودة إليها واستئناف الحياة فيها بعد تجربة الحياة الصاخبة وفقد معانى المحبة والمروءة فى المدينة ووصف طبيعتها الحية والجامدة فى القرية ومظاهر الحياة فى ربوعها. وفي المشاهد التي تقع عليها العين ما تنشرح له الصدور وفيها ما يبعث على الأسى ويثير الشجون ويستنزف العبرات.

وقد وصف هذه وتلك كما وصف حياة سكانها الكادحين وهم مع ذلك ينعمون بالرضا وحلاوة الإيمان متذرعين بالصبر.

ولاهتمام الشاعر بالكوخ فقد أودعه حبه الأول وهو فى ميعة الصبا وريعان الشباب. فهو يعرض على محبوبته أن تزوره فى كوخه الذى يعتز به ويراه أعز من قصر منيف، فيراسلها قائلا:

كوخى الوديع أعز من تلك ** الذرا شأنا إذا قدسته بركاب
أضفي عليه الطهر من أبراده ** ما عز عن صلف القصور النابى
وهواك لو لمست خطاك ترابه ** لذرى بكل مشيد معجاب
وزها على الأيام والتمست له ** فرص السعادة أمنع الأسباب[٢]

وقد أطلق على قصائده التي قالها فى هذا الجانب أغانى الكوخ

---

١) خاتمة ديوان أغاني الكوخ ص١٦٩.
٢) أغانى الكوخ ص٤٣-٤٤

وسمى ديوانه الأول بهذا الاسم، وأول ما يطالعنا قصيدة عنوانها الكوخ تحدث فى بدايتها فأبان أن الكوخ مصدر وحى وإلهام كما أنه منزل أمن وأمان، وراحة وطمانينة، ومبعث تأمل فيما يدور بخلد فيلسوف أو شاعر فكل من يأوى إليه يجد عنده مبتغاه، فالشاعر يفضى بما هو مخزون فى أعماقه، والساهر الحزين يستطيع أن يخفف جواه بما يسكب عنده من الدموع التي ضنت بها عيناه، والعابر يجد عنده الظل والمأوى، والحائر القلق يجد الاطمئنان والأمن إذا طاف به، فقد اختبئت فيه أسرار النفوس يجدها فيه من ينشد معرفة أسرار النفس الإنسانية التي عجز " ابن سينا " عن إدراكها وعدها لغزا من الألغاز وذلك قوله:

بعثر عليه الدمع ما حنقت ** فى قلبك الألحان يا شاعر
واحرق لها الأجفان مامسها ** برح الضنى والحزن يا ساهر
عرج عليه ساعة، واتخذ ** فى ظله مأواك يا عابر
وطف حوالى ركنه والتمس ** نور الهدى والرشد يا حائر
هنا خبايا النفس مطمورة ** غشّى عليها الزمن الجائر
لو "لابن سينا" خطرة بينها ** ماقال: نفس لغزها قاهر

أما الذى يعمر هذا الكوخ فإنه ناسك من النساك جاسم فى محرابه المتواضع الذى أبلاه الدهر، لايسمع فى ليله إلا صفير البوم، وفي ضحاه إلا هديل الحمام، وأنيسه فى الليل أنعامه، وكلبه الحارس الأمين، أما هو فإنه يبيت يسامر نجم السماء:

ضمت حواشيه على عابد ... محرابه من فاقة دائر
ينعى عليه تحت جنح الدجى ... شيخ الليالى بومه الصافر
ويشتكى بلواه رأد الضحى ... حمامه المسترحم الذاكر
سماره فى الليل أنعامه ... والنجم، والنابح، والخائر
تمليه من وحى الوفا حكمة ... ألوى عليها دهره الغابر

هـذى تناغيـه وذى تجتلـى | من صوتـه مـا يجتلـى السـامر
إن هـب يشـدو سـحرا بينهـا | فـاحطم مزامـيرك يـا زامـر
أوراح يزجـى أغنيـات المسـا | ضيعـت يـا شـعر ويـا شـاعر!
رهبـان عبـادون حـازوا الهـدى | ليـلا فمـا فـى ديرهـم كـافر
من لـم يقـم منهـم صلاة الدجـى | فـى النـوم أداهـا لـه السـاهر

وعلى هذا يمضى الشاعر فى تأملاته فى الكوخ وعماره، ووصف ما يحيط به من نبات ونخيل، ومن يمر بالكوخ من الفلاحين، ومن حاملات الجرار اللاتى عصمتهن العفة، وشبههن بالملائكة الأطهار، ثم يعود إلى الكوخ والأسى يحيط به وبالفلاح معا ولا يرثى لهما أحد:

شـهدته يـذرو دخـان الأسـى | والوجـد فـى كانونـه سـاعر
تبكـى سـواقى الحقـل أشـجانه | ومـا بكـاه مـرة شـاعر
والبـائس الفـلاح فـى ركنـه | عريـان يشـكو ضنكـه خـائر
شـالت بـزرع النيـل أكتافـه | ومـا رعـاه البلـد الغـادر
لهـا[١] بزيـف الغرب فـى مدنـه | والريـف مـن أوجاعـه حـائر[٢]

وكثيرا ما وجه الشاعر أنظار الناس - خاصة الأغنياء ساكنى القصور - إلى تلك الأكواخ وساكنيها من الفلاحين البؤساء - الذين يفترشون الأرض ويلتحفون السماء ،وحث الحكام والمسئولين إلى توجيه الرعاية والعناية لتحسين أحوالهم المعيشية. وصور ذلك كله بصورة تستدر الدمع على هؤلاء، وتدعو إلى الأسى والرثاء، حين يقول عن الكوخ والفلاح:

---

١) لها: من اللهو.
٢) ديوانه أغانى الكوخ من ص١٥ - ص٢١.

وارث للمسكين عيشا أسودا ... ران في كوخ حقير متداع
نامت النعمة عنه، وجفت ... معدما لم يرعه في مصر راع[1]

ويقول من قصيدة أخرى:

نسجته يد الشقاء من القش ... فراشا لمستضام شقي
بائس شفه القنوع فأغفي في ... حمى كوخه القنوع الأبي
صدف الحظ عن حظائره ... السود إلى ساحة الركاب الغني
حضنته على الضنى فريسة ... نامت على شط جدول ريفي
لاح فيه نخيلها خافض الرأ ... س كطيف في خاطر الصوفي
لفعته الأنوار من بردها السام ... ي بثوب من السنا موشي
فاستطالت سيقانه تطلب النجو ... ى وتهفو إلى الوميض القصي[2]

ويقول ناثرا: "اضرب بقدمك في ليلة من ليالي السرار بين تلك الأكواخ المتداعية في قرى مصر، وحدثنا عما تلاقيه من أهوال الظلام وعثرات المسالك في عصر كاد يفترش فيه المدنى الشعاع ويتوسد مساقط النور !! وخض بها تلك الفتى التي يتساور الفلاح في غيطه، واجلس بجانبه في الظهيرة تحت ظل الخيمة التي نصبها من ردائه على عصاه وفاسه، وقاسمه الطعام والشراب، وتعال حدثنا كيف أكل ؟ وكيف شرب ؟ وهل تردد عشرين مرة في احتساء الماء المقطر من كوب بلّورى شفيف أم انبطح على بطنه فعب الماء من مسربه العكر وقام إلى فأسه فواصل عمله لا يستريح ول يعزف طعم الهدوء[3].

---

١) المصدر السابق ص٢٦ وما بعدها.
٢) المصدر نفسه ص٥٢.
٣) خاتمة ديوانه أغاني الكوخ ص١٧٩.

ولهذا فإنه يرى فى الدخان الذى ينبعث منه إنما هو دموع ساكنيه ذرفت من عيون هؤلاء الذين أشقاهم البؤس وأضناهم الجوع والحرمان، وزفراتهم الثكلى تصاعدت فى أجواء السماء تجسم أناتهم وهي تخترق عالم الفضاء إلى عنان السماء تبث شكواها إلى باسط الأرض ورافع السماء، ففي مناجاة لدخان الكوخ يقول:

أتـــرى أنـــت علـــى الأفـــ ** ق لهيـــــب أم دخـــــان
أم جـــراح الكـــوخ ســـجا ** هـــا مـــن البـــؤس الزمـــان
أم دمـــوع الشـــتاء والرعـــ ** يـــان أذراهـــا الهـــوان ؟
أم شـــجون الفـــأس أبـــلا ** هـــا الضنـــى والحدثـــان ؟
أم هـــى القريـــة لـــم يخـــ ** فـــق لبلواهـــا جنـــان ؟
زفـــرت فـــي الجـــو ثكلـــى ** لـــم يصابرهـــا الحنـــان
فهـــى جـــرح ودخـــان الـــ ** كـــوخ بالشـــكوى لســـان[1]

وقد ظل الكوخ على مدى عمره موطن ذكرياته، وموضع حنينه فهو يذكره شيخا ويحن إليه كهلا، ولم تنسه حياة المدينة كوخه، ولا حياة أهله. فبعد أن تقدم به العمر نراه يصغى لنداء الذكرى وتظل عليه ذكريات كوخه فينشئ قصيدة أسماها " قصة الكوخ " يودعها حنينه إليه، ويفصح عن مشاعره تجاهه. فنراه يقول:

مـرت الريـح علـى كوخـى فـي وقـت الأصيـل
وأنـا أصغـى مـع الأطيـار فـي ظـل النخيـل
وخطـا الأيـام تـروى قصـة المـاضى الطويـل
وحديـث الفـأس لـلربوة عـن ظلـم السـنين ..
قصـة الأرض التـى ضيعـت فيهـا كـل عمـرى

---

١) ديوان هكذا أغني ص٤٣١.

وسـقيت الحـب أيـامى وأحلامـى وصـبرى
فـإذا اهـتز جناهـا ينهـب الأثمـار غـيري
وأنـا أمضـى إلـى كوخـى محـروم اليميـن ..
عرقـى سـال رحيقـا فـي كـؤوس الجائرينـا
وكفـاحى كـان لـلروح جراحـا وشـجونا
وعـوادى الظلـم لـم تـترك علـى قلبـى أنينـا
لـم تسـطر منـه خطـا للأسـى فـوق جبينـى[٢]

وعاد إلى الكوخ حين زار قريته في إحدى زيارته لها، فرأى ظلامه وأغلاله بقايا رفات تنضو على زوالها كرامة الإنسان، فأنشأ قصيدة بعنوان "ساعة مع الكوخ" بدأها بقوله:

سـلاما تـراب الكـوخ جئتـك زائـرا
فأشـعلت للبعـث الجديـد قيـاثرى
وأنبـت فـي أوتارهـا الزهـر والربـى
وعطـر الأغـانى، مـن خريـف المزاهـر
وفجـرت أنهـار الحيـاة بصمتهـا
فغنـت بهـا الأشـواق مـن كـل خـاطر
نفضـت غبـار الـرق مـن فـوق جبهتـى
وبـددت بـالأضواء ذل مشـاعرى
وطـيرت أغلالـى مـن الـروح فـانتهت
وعـادت إبـاء عاتيـا فـي سـرائرى

ثم أخذ يذكر كوخه بماضيه المؤلم، وظلم الجبابرة من الملاك

---

٢) ديوان لابد ص١٣٤٣.

والإقطاعيين بعد أن تحرر من جبروتهم:

سلاما تراب الكوخ، ما عدت صاغرا
لصولة جبار، ولا خطو جائر
تفجر فيك البعث من كل جانب
ودارت رحاه في الربى والمخاضر

ولا يفتأ الشاعر يذكر كوخه بما آل إليه حال الكوخ من نعمة الحرية بعد أن تحرر من ربقة القيد والذل والاستبعاد:

فما عاد ركب البغي يمشي كأنه
على وجهك المسكين رؤيا مجازر

فقد جمح جماح الظلم، وتحطم قيد الذل، وتكسر الرمح على أم رأس الباغي العتلّ:

وأقعى جواد الظلم، لارمح فارس
ولاصك مهماز زنيم الحوافر
ولا شارب كالصقر يرمي بنظرة
تدس فنون الختل طي المحاجر

فلم يعد الفلاح عبدا يسرج فرس سيده المالك، ولا يسير في ركاب جواده يأخذ بعنانه:

فلا رمح عبد خلفه تابع الخطا
يؤدي صلاة الرق جنب الحوافر

ويأخذ في بيان صفات المالك فيقول:

مكان كتابوت الخطايا مزنر

بـــألف وشـــاح أســـبلت كالضفـــائر
علـــى ظهـــره بـــاغ، تـــورم خـــده
مـــن التيـــه، موصـــوف بنســـل الأكـــابر
عتـــل إذا شـــق الطريـــق تـــرى لـــه
تألـــه تمثـــال علـــى الصمـــت ســـادر
وعينـــاه ترنـــو للعبـــاد بنظـــرة
مـــزورة الألحـــاظ فـــي كـــل ســـامر

أما علاقته بالأجراء من الفلاحين الضعفاء فقد أفصح عنها الشاعر بقوله:

يمـــص حشاشـــات الأجـــير ويرتـــوى
بدمـــع الحيـــارى مـــن شـــقى وعـــاثر
ويســـرق كحـــل العيـــن إن شـــاء ظلمـــه
ولـــو كـــان خلقـــا مـــن جفـــون الحرائـــر
ونهـــاب أقـــوات يلـــم حصادهـــا
ليتخـــم بالأســـلاب جيـــب المقـــاصر
ينـــام قريـــر الظلـــم فـــي بهـــو قصـــره
وغارســـها المحـــروم بيـــن الحظـــائر

إلى أن يقول الشاعر على لسان هذا السيد الإقطاعى الذي أذاق الأجراء الذل والهوان:

وقـــال هنـــا أرضـــى ! وتلـــك مخـــاضرى
وهـــا هـــم عبيـــدى ! بـــل عبـــادى ! وإنهـــا
لدنيـــاى، بـــل إرثـــى بهـــا وتواتـــرى
ملكـــت ثراهـــا بالوراثـــة عـــن أبـــى

والواقع أنه "كان سليل الظالم المتواتر" – ثم يتابع الشاعر حديثه فيعود إلى الحديث عن علاقة هذا السيد المطاع بالمستاجرين البسطاء، وعن المعاملة السيئة التي كان يلقاها هؤلاء المستضعفون فهو حين يمر على سرب الجياع بحقله فإنه يمر "كما مر إعصار الخريف بطائر":

فلم يبق ظهرا لم يزد في انحنائه
ولا عاثرا إلا دهاه بعاثر
وآب إلى قصر على البغى ركبت
أواسيه من قهر عريق الأواصر
يسمونه "بيت الوسية" فريةً
وما كان إلا ردهة للمساخر
وما كان إلا قبة صم قلبها
كما صم عن داعى الهدى قلب كافر
فلا هو واسى دمع شاك ولا أسا
جراحات مظلوم شقى النواظر
أتاه ينادى الحق فانشق قلبه
على خيبة تدمى إباء السرائر
رأى كلبه خلف السياج مكرما
قرير الخطا في كل ناد وسامر
إذا أن داخ الطب حول مزاره
وأرخى له التدليل خز الستائر
ومن حوله الإنسان في البؤس والضنى
وطب الرقى يزجى دخان المباخر[1]

---

١) انظر القصيدة كاملة في ديوانه " قاب قوسين " من ص١١٢٥ إلى ص١١٣٠.

والقصيدة طويلة. وحسبي منها ما ذكرت. ولعل فيما أوردت من نماذج يفصح عن وجدان الشاعر ويكشف عن عاطفته المشبوبة والحارة نحو الكوخ، مظهرا من مظاهر شعره في القرية. وإلى مبحث أخر .....

٢ – الحقل وما يحفل به

اهتم محمود حسن إسماعيل في شعره أيما اهتمام بالحقل فتحدث عنه حديثا جامعا فتحدث عن زهرة القطن وزهرة الفول والسنبلة والساقية، وجداول المياه فيه، والفلاح وفأسه ومنجله وجهده في البذور والحصاد وجنى الثمار، وما يعانيه من شدة الهجير وقسوة الزمهرير.

كل ذلك صاغه الشاعر محمود حسن إسماعيل ممزوجا بوجدان حار ومشاعر فياضة، وعاطفة جياشة، وبما يضفيه خياله الذي يستمده من عالمه القريب، في قدرة فائقة على الرسم والتلوين، وإضفاء الحياة على الجماد وتجسيد المعاني حتى لتبدو أمام العين شاخصة ناطقة متحركة.

ذلك أنه نشأ نشاءة متواضعة، ففي الحقل نشأ وفيه –منذ صباه– عمل، ومن خيراته أكل. ولذا جاء شعره في الحقل وما احتواه شعرا ناشئا عن طبع وسليقة، وليس عن صنعه أو تصنع فاستشرفت نفسه معنى الجمال فيه، واستوعبت شاعريته هذا الجمال الطبيعي الذي أودعه الله الحقول، على امتداد ريف مصر كلها، فانطلق يغرد:

تفجر في صفحتيه الجمال ** ورف على جانبيه الخلود
وطوف ريحانه في الجنان ** وفي كل منضورة بالوجود
ورياته فوق خد الربى ** ترعرع من عجبها أو تميد
إذا داعب النسيم أعطافها ** تفتق عن لؤلؤ في الخدود
من الفل أو من بنات الاقاح ** تضمضح بالطيب جيب النجود
ترقرق في مهدها جدول ** عطوف على الزهر عذب برود

تـــرف الفراشـــة فـــي حوضـــه ** رفيق المنـى فـي مجـالى السـعود
تحـــوم فـــي موكـــب زاخـــر ** من الضـوء غشـى عليـه الهمـود
تراهـــا وقـــد كللـــت بالضيـــاء ** عروسـا تـزف لزاهـــى الـــورود[1]

ولذلك فقد نعى على الشعراء وأهل الفن انصرافهم عـن هذا الجمـال وعدم استلهامهم إياه وحثهم على أن يبرزوه للعالم معبرا عـن طبيعـة مصر وجمالها وما في هذه الحقول من روعة وجمال .

ومن هنا فقد وجدناه في الكلمة التى يختم بها الديوان يقول: "في كل هذا الجمال الطبيعى الذي تبلـج بـه ريف مصر وفـي كـل هذا الشقاء الـذي اكتوت بناره نفوس بريئة لا تعرف من الحياة إلا الإخلاص لعملها -بيد أنهـا محرومة من أتفه متع الحياة المترفة فـي المدينـة- لا يرى الفن فـي مصر وحيا لا لهامسه ولا خاطرة تثير فيه نشوة العمل على إبراز الجمال المخبـوء في وادى النيل للعالم ليرى الناس إلى أى حد نعتز بوادينـا ونفـاخر بمـا فيـه من روعة وجمال![1].

ولقد أوفي الشاعر على ما أراد من الحديث عن ريف مصر ممثلا في حقولها ونضرتها وبهائها وفلاحيها فنقرأ للشاعر قصيدته "زهرة القطن" أو "كنز الذهب الأبيض". وقد أبرزها في وصف مبهر ينم عن وعـى أصيل، وتأمل طويل في مجـالى الطبيعـة الفاتنـة فـي حقـول الريـف المصـرى الـذي عاش فيه حياته يقول في مطلعها:

حيـن ذاب الطـــل فـــي كاســـاتها ** لؤلـؤا يجـرى علـى كـف الشـعاع
لثمـــت خـــد الضحـــى وابتســـمت ** كابتسام الطفل في عهـد الرضـاع
وبـــدت صفـــراء تحكـــى غـــادة ** ذبلـــت نضرتهـــا يـــوم الـــوداع

---

١) ديوان أغاني الكوخ ص٢٧، ٢٨.

١) خاتمة ديوان أغانى الكوخ ص١٧٩.

تخفق النسمة في أهدابها ** خفقة العاشق في ليل الزماع[٣]
فتراها في الربى راقصة ** زانها الضوء بزهو والتماع
ذات كأس أترعت شمس الضحى ** ريقها من خمرة النور المشاع

ويظل الشاعر في وصف الزهرة فيخلع عليها كثيرا من أوصاف العروس من حيث الزينة البالغة والجمال الفاتن الذي يأخذ بمجامع القلوب وتخر أمامه الشعراء ساجدين فيقول:

يا عروسا لم تزينها يد ** غير كف المبدع الفن الصناع
عقدت إكليلها من سوسن ** باهت الأفواف تبرى القناع
مستعار من ضنى العشق ومن ** لوعة الهجر ومن لون الوداع
يسجد الشاعر من فتنته ** سجدة الفن زها حسنا وراع

ثم يصفها في حالتيها الليل والنهار:

عانقت طيف الضحى ** لأصيل لاح مخنوق الشعاع
مثل صوفي تراءى خاشعا ** مطرق الرأس بمحراب التلاع

حتى إذا:

واتاها الصيف وهاج السنا ** يضرم الأنفاس نارا في البقاع
فارتدت برنسها من ذهب ** أبيض توج هامات الضياع
تحسب الأغصان لاحت بينه ** أسطرا تزهو على بيض الرقاع[٢]

ثم تجئ بعد ذلك قصيدته "زهرة الفول" وهى من وحى الحقل أيضا

---

٣) الزماح: السفر.

٢) ديوان أغانى الكوخ ص٢٣ وما بعدها.

فنقرا فيها الوصف التصويرى البديع الذي يرقى بمحمود حسن إسماعيل إلى مصاف كبار شعراء الوصف الذين اختصوا بهذا الفن، وعرفوا بالشعراء الوصافين في التاريخ الأدبى. ولئلا أسوق هذا الحكم مجردا من شواهده فيكون أشبه بالدعوى من غير بينه فإنى سأسوق نموذجا واحدا من هذه القصيدة -خوفا من الإطالة والملل فالقصيدة طويلة- تاركا للقارئ أن يرجع إليها في ديوانه يتاملها ويقف بنفسه على وصفه التصويرى الرائع للزهرة وسائر مظاهر الحقل فيها وما تنبت الأرض من نبات ونخيل وزرع وغيرها. وقد بدأها بوصف ريف مصر وما خلعته الطبيعية عليه من حسن وجمال: من زهر ندى، وعطر فواح، ونسيم رقراق فيقول:

طلع الحسن في ثرى الريف روضا ** حالى الأيك بالأزاهر والنَد
سرق العطر من جيوب العذارى ** وحباه للأقحوان المنضد
وسطا في ثغورهن فأجرى ** كوثر الريق في ثراه المعبد
ثمل التبست من طلاها فرقت ** كل مياسة به تتأود
فهنا السنبل المرتج يهفو ** في مهب النسيم حينا ويسجد
وهنا الفول أبيض الزهر نضر ** كسدول العفاف لاحت تشهد
وكأن الريحان من رونق الخضرة ** صيغت عيدانه من زبرجد[1]

ولشد ما تعلقت روحه بالزهر الفواح، كالنرجس والورود وغيرها مما له شذا العطر، فراح يشبه فاتنته بالزهرة يدور عبيرها وينتشر أريجها، وقد ترعرعت من نبع احساسه، وارتوت من معين فؤاده، فبدت يافعة نضرة مكللة بالنور، تبعث السرور إلى ناظريها، والبهجة إلى رائيها، ويحيا على شذا عرفها كل آس حزين، فنضحها خلد، وأنفاسها عطر جنة، وأنداؤها أنداء فجر، ونسيمها طهر من الأنداس والأرجاس، كما أنها حنان فياض.

---

١) أغانى الكوخ ص ٧٨.

وذلك ما تضمنته قصيدته "زهرتى" والتى يقول فيها:

ولى زهرة طيبت من عطرها دمى ** وضمخت روحى من شذاها وأنفاسى
على شاطئ من فيض روحى تفتحت ** وراحت تعب الرى من نبع إحساسى
مكللة بالنور تحسب وشيها ** وميضا من الصهباء يشرق فى كاس
تميس على قلبى إذا هزها الهوى ** فتفضح بالإدلال ريانة الآس
كأنى بها نضح من الخلد روحت ** أفاويحه عنى حتى عمرى الآسى
بروحى من أنفاسها عطر جنة ** تراءت بحلم رائع الطيف مياسى
وأنداء فجر أسكر الروح نسمه ** وطهر بالاعصار إتمى وأرجاسى
بروحى حنان شع من جنباتها ** كما فاض في جنح الدجى ضوء نبراس[1]

لقد ملك الزهر عليه كل فؤاده وتعلق به أيما تعلق، فهو مظهر جلىّ من مظاهر الطبيعة التى فتن بها، وحل فيها وتنفس من خلالها، وعكس عليها كل ما يعتمل فى نفسه ويجول بخاطره من تجارب. وهو قبل ذلك وبعده شاعر، والنفس الشاعرية كالطبيعة، فيها الغدير الرقراق، وفيها المحيط المتراكم، وفيها زهرة البنفسج، وفيها الآمال وفيها الآلام

تفرح وتحزن وتحس وتشعر، تتحلى الجمال، وتشرق بالبهاء، في جيشان عاطفي، ونظر تأمل لحقائق الكون ومظاهر إبداع الله، وبديع صنعه، والزهرة من مظاهر الطبيعة الجميلة والتى هى سر من أسرار الله عز وجل، شانها شأن أى كائن حى يولد فينمو ويتطور في مراحل حياته المختلفة، فمن يفاعة وشباب إلى شيخوخة واكتهال. وقد عرض الشاعر للزهرة فوصفها في حالتى الربيع والشتاء، فبينما هى في الربيع عروس بدت في أكمل صورة وأروع جمال ضحكت لكل مظاهر الطبيعة على حد قوله في قصيدته "الزهرة بين الشتاء والربيع":

زهرة الوادى تجلت ** كعروس للربيع

---

١) المصدر نفسه ص١٥٧ ، ص ١٥٨

زانهـــا الحســـن بطـــلّ ** خـــاطف اللمـــح لمـــوع
فهـــو دَر فـــي لماهـــا ** وعلـــى الجفـــن الدمـــوع
ضحكـــت للفجـــر يضفـــو ** نـــوره فـــوق الـــزروع
ولصبـــح حـــالم كـــالطيف ** رفـــاق وديـــع
ولصحـــو الطـــير يشـــدو ** بعدمـــا طـــال الهجـــوع
ولأنفـــاس الأقـــاحى ** فـــي ربـــا النيـــل تضـــوع
ولريحـــان الضحـــى ** منفتـــق الكـــم خليـــع

غير أنه إذا أتى عليها الشتاء بدت ذابلة حزينة أسيفة على ما أصابها من برد وصقيع وقد عريت من حليها التى ألبسها إياها الربيع:

وبكـــت ترثـــى شـــتاء ** حـــائلا يشـــكو الـــنزوع
كـــم أســـاها حيـــن أذواهـــا ** بـــبرود وصقيـــع
فتعـــرت مـــن كســـاء ** مـــن حلـــى الزهـــر بديـــع[1]

ونقرأ للشاعر عن الفراشة قوله:

تـــرف الفراشـــة فـــي حوضـــه ** رفيف المنى فـي مجـالى السـعود
تحـــوم فـــي موكـــب زاخـــر ** من الضـوء غشـى عليـه الهمـود
تراهـــا وقـــد كللـــت بالضيـــاء ** عروسـا تـزف لزاهـى الـورود[2]

---

١) ديوان أغاني الكوخ ص٨٩ ، ص٩٠.
٢) ديوان أغاني الكوخ ص٣٠ ، ٣١.

وفي نزعة رومانسية يسائلها:

ألا يـا ابنـة الزهـر كيـف ارتـوت ** بروحـك أعطـاره السـاريه؟
وكيف التقـت فـي ضمـير الشـذى ** طيوفـك بالنفحـة الهاميـه؟
لقـد نـادم البلبـل المسـتهام ** ورودك بـالغنوة الداميـه
فهـل سـاورت شـجون الهـوى ** فهمـت بأطيافهـا السـاميه

ثم يطلب منها أن يطيرا معا في سماء الخيال بعيدا عن الكون، إلى حيث الأمانى الهانية، والحياة الآمنة، والسعادة الصافية، لينسيا في ظلها الأشجان والآلام، والهموم والأحزان، وليجد عندها الشفاء من الأمراض والأسقام:

تعـالى نطـر فـي سـماء الخيـال ** ونهـف بجنتـه النائيـة

حيث لا يجد الشاعر مع فراشته -وهما يسبحان في سماء الخيال- عيونا باكية ولا قلوبا حزينة ولا أكبادا فتتها الآلام، ولا عالما يعيش في صخب واضطراب:

هنـالك لا أدمـع تـرة ** تهـاوى، ولا مهجـة شـاكيه
ولا عـالم يـالأذى صـاخب ** ودنيـا بأشـباحها زاريـه
ولا زهـرة تنتشـى فـي الصبـاح ** بكـأس النـدى الحلـوة الصافيـه
فهيـا نهلـل فـي ظلهـا ** فنطفـو بغدرانهـا الجاريـه
ونسـبح فـي جوهـا كالخيـال ** يرفـرف فـي مهجـة غافيـه
وننسـى الدنـا وأهاويلهـا ** وآلامهـا المـرة العاتيـه
ونفنـى أسـانا بأندائهـا ** شـعاعا مـع النسـمة الهافيـه

ثم يعود الشاعر إلى سؤال الفراشة مرة أخرى فيوجه إليها عدة أسئلة مثار تعجب ودهشة قائلا:

أعـــابدة النـــور .... ماللســـنا ** أطـــار تســـابيحك الصابيـــه ؟!
وحجبهـا فـــي ضمـــير الضحـــى ** ســـرائر فـــي جيبـــه خافيـــه .
أصابئـــة أنـــت يبغـــى الهـــدى ** ضـلالا بشـمس الربـى الحاليـه ؟!
تـــروح وتغـــدو علـــى ضوئهـــا ** وتمـــرح فـــي ظلهـــا لاهيـــه
بســقطين[1] رفـا كحلـم الصبـاح ** تناجيـــه سوســـنة راويـــه!

ويختم الشاعر قصيدته هذه عن الفراشة التى أطلق عليها "راهبة الضحى" بقوله:

صـــلاة مـــن الصمـــت مكبوتـــة ** بروحـــك هفافـــة نازيـــه
أفيضـــى علـــى مهجتـــى طهرهـــا ** وروى بهـــا غلتـــى الصاديـــه
فـــإنى إلـــى أســـرها ظـــامئ ** لعـــل بهـــا رشـــفة شـــافيه
حيـــاتى مـــن البـــؤس ملهوفـــة ** وعمـرى مـن الحـزن فـي غاشـيه
وروحـــى تخبـــط فـــي صدفـــة ** مـــن الهـــم حالكـــة داجيـــه
فهيـــا خـــذى فلكهـــا واســـبحى ** علـى لجـة فـي السنا قاصيـه؟![2]

كذلك نقرأ للشاعر مما يتعلق بالحقل قوله على لسان سنبلة القمح في قصيدته "سنبلة تغنى" فنجد فيها هذا الوصف البديع، والعجب والتيه على سائر ما تخرج الأرض من زرع ونبات يقول في مطلعها على لسان السنبلة:

مـــن لـــه فـــي الأرض ملـــك ** مثـــل ملكـــى فـــي الكثيـــب؟!
مـــوردى النيـــل ! وزادى ** مـــن ثـــرى النيـــل الخصيـــب!

---

١) سقطين: جناحين.

٢) انظر قصيدته "راهبة الضحى" من ديوان أغانى الكوخ ص١٦١ وما بعدها.

كـلـــل الفجـــر جبينـــي ** بـــالندى الغـــض الرطيـــب
و الأصيـــل الـــبر ألقـــى ** تـــبره بيـــن جيوبـــي
وشـــعاع الشـــمس حيـــا ** فـــي شـــروق وغـــروب
لـــو رأى الرهبـــان طهـــرى ** وصلاتـــى فـــي المغيـــب!
هجـــروا الديـــر، وخـــروا ** سُـــجَّدًا فـــوق كثيبـــى!
طيـــب الصبـــح مهـــادى ** بعبـــير الزعفـــران
والريـــا وشـــحن عـــودى ** بوشـــاح السيســـبان
والضحـــا لمـــا رآنـــى ** ذات دل وافتتـــان!
ذوب النـــور وأجـــرى ** نهـــره فـــي طيلســـانى
وســـقانى الطـــل أشـــهى ** مـــن بنيـــات الدنـــان(٣)

وبعد أن تتيه فخرا على كل ما في الحقل من نبات وطيور وقبرات، وأبانت أنها صاحبة وأبانت أنها صاحبة الفضل على كل هولاء. فالطير تجد في ظلها الراحة من لفح الهجير، والنبات ذو الزهر الأبيض –وهو المعروف باسم العليق– التف بعيدانها كأنه عاشق يريد أن يلثم ثغرها، أو طفل يتعلق بأحضان أمه ليلقم تديها. وذلك ما عبر عنه الشاعر على لسانها بقوله:

قـــبرات الحقـــل لمـــا ** خشـــيت لفـــح الهجـــير
رشـــفت ظلـــى خيـــالا ** نغمتـــه فـــي الصفـــير
وصبـــا العليـــق فوقـــى ** عاشـــقا لثـــم شـــعورى
كأســـه البيضـــاء تحكـــى ** حلـــم الطفـــل الغريـــر
مدهـــا شـــوقا ليجســـو ** هالـــة الضـــوء المنـــير!(٢)

---

٣) ديوان أغانى الكوخ ص٧٣ ، ص٧٤.

٢) المصدر نفسه ص٧٤.

أقول بعد هذا الدل والتيه والعجب تعود السنبلة لتقول:

أنـــا عـــذراء تجلـــى ** ســـحرها بيـــن الحقـــول
الصبـــا جُنَّـــتْ غرامـــا ** بشـــحوبى ونحولـــى
فتلـــوّت حـــول ثغـــرى ** فـــي شـــرود وذهـــول
تشـــتهى لثمـــى فتضـــرى ** آهـــة الصـــب العليـــل
فاناغيهـــا بهمـــس ** رق عـــن نضـــح الأصيـــل[1]

بيد أن هذا الزهو وذالك التيه ما لبث أن تبدد وعصفت به الرياح. فما أن أتى الصيف على هذه السنبلة حتى ذوى عودها، وحطم نضارتها بلظاه، فلف المنجل حياتها فأصبحت سيقانها هشيما تذروه الرياح وحبها المتراكب المنضد، تفرق وتبدد، نراه يقول على لسانها:

ودنـــا الصيـــف فشـــابت ** مـــن لظـــاه ســـبلاتى!
وذوى عـــودى! ولـــف ** المنجـــل القاســـى حيـــاتى
وتحطمـــت .. فأحيـــا ** النـــاس عيـــش مـــن رفـــاتى

إلا أنها وإن صارت إلى ما آلت إليه، فذبلت بعد نضارة، وماتت بعد حياة، فإن موتها حياة للناس، ومن هنا فهى مثل أعلى للتضحية في كل حال ولذا قالت:

أنـــا فـــي غرســـى، وحصـــدى ** وحيـــاتى، وممـــاتى
مثـــل أعلـــى ! ورمـــز ** خـــالد للتضحيـــات[2]

---

١) المصدر السابق ص٧٥.

٢) المصدر نفسه.

وفي قصيدته القرية نراه يعرض للسنبلة، فيصفها وصفا تصويريا، إذ يخلع عليها صفات الأحياء فيستعير لها من صفات الإنسان: النوم، واليقظة، والإصغاء، والخفقان، والأهداب، والذوائب، والسجود، والخشوع، والخضوع للجمال. فيقول:

وسنبلة فوق صدر الكثيب ** تصيخ لأحلامها في هجود
تهب لإيقاظها في المساء ** رياح الصبا، والنسيم الوئيد
فتخفق أهدابها للرياح ** وتهفو ذوائبها للسجود
فتبدو كخاشعة للجمال ** وقد لاح تمثاله من بعيد[1]

أما النخيل فله نصيب كبير في شعره. حيث كثر النخيل في قريته التى اتخذت اسمها منه فاسمها "النخيلة" كما هو معروف. من ذلك ما يقوله على سبيل المثال:

ونخيل فضحت أظلاله ** في ثنايا الماء طهر الساجدين[2]

وقوله:

وقد ود النخيل قامات غيد ** ساكرات من خمرة الطل ميد
خفقت حولها الدوالى فريعت ** وتأست على الأسير المقيد[3]

وقد عرض للنخيل بالوصف في أكثر من قصيدة. وأظهر ما يكون ذلك في قصيدة له يتحدث فيها عن الغراب، وقد أطلق عليه اسم "راهب النخيل" واتخذ من هذا الاسم عنوانا للقصيدة. وهى رائعة وقد طال نفس

---

١) المصدر نفسه ص ٣٢.
٢) أغانى الكوخ ص٤٤.
٣) المصدر نفسه ص ٧٨.

الشاعر فيها حتى وصلت إلى مائة وثلاثة وثلاثين بيتا (١٣٣).

بدأها بمناجاة الغراب ومساءلته عن حقيقة كنهه:

أشيخ من الأزمان والناس ساخر ** لهول الذي كابدت؟ أم أنت طائر؟
تطيّر منك العالمون فأرجفوا ** بنحسك، حتى قيل بالحظ كافر!
وما زال منهم من يراك، كأنما ** أحست دبيب الموت فيه المشاعر
ومن يهجر الدنيا إذا كنت ضيفها ** وانت بهذا الكون سأمان هاجر
تطل بعين ملؤها السخر بالورى ** وأخرى بها للناس لحظ محاذر
وتستشرف الوديان. لا قلبك ارتوى ** هدوءًا، ولا اهتزت لديك المخاطر
ولا جادك الفئ الظليل بجوسة ** تقربها عين، ويهدأ خاطر
ولا المرج حياك الغداة بأيكة ** تروح فيها عن شجاك الأزاهر
ولا نلت رزقا لم يغيب نعيمه ** حذارك أن تلقى عليه النواظر
فيوما من الناطور[1] تحيا مفزعا ** تميل فتثنيك الجدود العواثر

إلى أن يصل إلى الحديث عن النخيل فيقول مخاطبا راهب "الغراب":

وصبك هذا النخيل إني أحبه ** وبي ما به وجد لبلواك ساعر
تظل على عرجونه متأرجحا ** خطيبا .. فتحنو أغصن ومنابر
وتنعق في أظلاله متصايحا ** فيحسب إن شدت عليه المزاجر
وراح رخيم الكف والصوت والصدى ** تناديه ألحان الخدود السواحر
فتخشع أهداب الجريد كأنما ** تودع نعش الريح منك المناقر
وتأوى إليه في الهجير فترتوى ** من الظل حتى الظل أقبح عاطر
على شاطئ لا ماء فيه وإنما ** موارد خياب الحظوظ مصادر
فتسقى هدوءا عنده وسكينة ** وأمنا لديه يستقر المهاجر

---

١) الناطور: الحارس.

وتسـقين شـأن الغـادرين لجاجـة ** في الطير ما في الناس واف مغادر[٢]

والقصيدة طويلة أكتفي منها بهذا القليل ومن أراد الرجوع إليها فليرجع إليها في ديوانه "هكذا أغنى".

والآن هيا بنا إلى مظهر آخر من مظاهر القرية نتعرف إليه من خلال شعره فيها.

٣ – الساقية والشادوف:

والساقية دولاب يدور به ثور مغمض العينين يمتاح الماء من البئر، ثم يترفق من عيونها لينساب في جداول الحقل، أما الشادوف فهو دلو معلق بحبل يتدلى من عود يحمله عودان من خشب الشجر، وقد عرض لهما بالوصف نافذا من ورائه إلى حال الفلاح.

وفي موسيقية شجية ولحن رائع، عزف الشاعر على قيثارة الشعر صوت الساقية التى تشدو بين الحقول بأجمل الأصوات، فرن في سمع الضحى تغريدها:

تشدو فيصغى الصمت من ولع بها ** ويكادمن طرب السكون يعيدها
قبست من الأطيار رقة شدوها ** وأعارها سحر الصدى غريدها[٢]

غير أن هذا الصوت حزين يثير الأسى، ويبعث الشجن على الثور يشكو إسار القيود:

تضج على دائر كالرحى ** يذوق من السوط ذل العبيد
مضيعه النوح .. كم أرسلت ** شجاها يئن أنين الشريد!

---

٢) ديوان هكذا أغني ص٤١٠، ٤١٢.

٢) ديوان هكذا أغني ص٤٠٣.

وكـم ضحـك الزهـر لمـا بكـت ** وهز على الدمـع رخـص القـدود!
فلمـا خبـا دمعهـا صوحـت ** أفانينـه .. واعـتراه الركـود[٣]

ويعجب الشاعر لهذه المسكينة التى لا يرقأ جفنها ولا يكفكف دمعها، تشقى وتتعب من أجل إسعاد الأخرين، تبكى وتذرى الدمع وتفنى من أجل حياة غيرها، ومع هذا فلا أحد يرثى لحالها:

نـاحت، فـلا الزهـر علـى عـوده ** ألقـى عقـود الطـل مـن جيـده
ولا مغنـى الدهـر فـي وكـره ** رق لهـا وازور عـن عـوده
ولا رثـى المطـراب فـي أيكـه ** مـن سـاجع الـروض وغريـده
والعاشـق البلبـل فـي عشـه ** أسـرف فـي نجـوى معـاميده

كل هؤلاء لم يستجيبوا لندائها، فلم يغيثوها من كربها، ولم يعيروها أى اهتمام:

لـم يسـمع النـوح لمخنوقـه ** تشـكو إلـى الدهـر أسـى قيـده

وقد شبه الشاعر صوتها بعويل الثكلى، وبطنين النحل، وبشكوى العشاق من برح الأشواق، ولوعه الفراق، وبدموع المحزونين. فيقول من قصيدة له في الساقية وقد سماها القيثارة الحزينة:

خرسـاء لكـن صوتهـا صـارخ ** يذيـب قلـب الصخـر مـن وجـده
لهـا طنيـن النحـل فـي قفـرة ** بهمـاء لـم تبـق علـى شـهده
وهـزة العاشـق مسـتصرخا ** أزواه حـر الشـوق فـي بعـده
ولوعـة النـائي يـراه الهـوى ** ونـال كيـد الهجـر مـن وده
لهـا عيـون دائمـات البكـا ** بمدمـع كالسـيل فـي رفـده

---

٣) ديوان أغاني الكوخ ص٣١، وصوحت = ذبلت.

تفنى دموع الناس من فيضها ** ودمعها باق على عهده

وبعد أن يعرض الشاعر لآثارها الحميدة وفضلها الذي غمرت به الزروع والزهر والثمار والفلاح، يعود إلى الحديث عن الثور الذي يدور والنير على كتفه والسوط يلهب ظهره رامزا به إلى الفلاح الذي أثقل الجهل كاهله فيقول:

دؤوبة الشكوى على راسف ** في الذل مفجوع على جده
دارت به البلوى فما راعه ** إلا عماء غال من رشده
وضلة يسعى بلا رائد ** على سبيل فل من جهده
أعمى رماه البين في دارة ** لم يدر نحس الخطو من سعده
شدت حبال الذل في رأسه ** وفت صرف الدهر في كبده
منادح الضجة في أذنه ** وملعب السوط على جلده
والسائق الأبله لا ينثنى ** عن ضربه العاتى وعن كيده
يتلو على آذانه سورة ** من قسوة السيد على عبده
كأنه الدهر يزجى الورى ** قسرا إلى ما ند عن وجده[1]

وهذا ما عناه بقوله في قصيدة أخرى "فم الراعى" وهى قصيدة طويلة متعددة القوافي وفيها يقول عن الساقية في أحد مقاطعها:

وكم ناعورة ناحت ** على مستعبد فيها!
أسير السوط كم ضجت ** له يوما أغانيها
شربنا المدمع الصافي ** نميرا من مآقيها
ونادمنا ظوامى الزهر ** حتى هام صاديها

---

١) ديوان الكوخ ص٦٣ وما بعدها.

ورحنـــا ننهـــب الخطـــو ** تسـكارى بيـــن واديهـــا[٢]

هذا. وقد أفرد الثور في قصيدة مستقلة في ديوانه "هكذا أغنى" وهى بعنوان "عاهل الريف" تحدث فيها عن الثور وما يكابده من أسر وأغلال، ورهق وإذلال. وهى طويلة أجتزئ منها هذه الأبيات:

ثـاو هنـالك كبلتـه يـد الأسـى ** وثنتـه عـن عبث المـراح قيودهـا
شـيخ أصـم تكنفـت أطرافـه ** سوداء من صلب الزمان حديدهـا
أحكـام ذل لحـن فـوق جبينـه ** سـودا تكتـم بالسـياط وعيدهـا
سجنته فى رحب الفضاء وخلدت ** آذانـه رهـن الحبـال جدودهـا

فهو رهين الأسر، يتمنى الحرية لكنه لا يستطيعها فقد أقعدته القيود عن المراح والتجوال، وأثقل كاهله الحديد الصلب الذى يدور به، لقد ألهبت السياط ظهره:

اجـازة سـوط تلهـب فوقـه ** نـار يشـب علـى حشـاه وقودهـا
رقمـت علـى أضلاعـه أسـطورة ** دفنـت بأسـرار الدهـور عهودهـا

ذهب ببصره تغليف عينيه، فأصبح لا يرى شيئا حتى فى ضحوة النهار حين يكون الضياء على أشده:

عينـاه غلفتـا فمـات سـناهما ** فـى ضحـوة رفـت عليـه برودهـا

وكأنما نور عينيه الذى سلب منها انعكس على الأزهار والورود فتفتحت، فتراقصت فرحا وطربا:

---

٢) ديوان الكوخ ص١٠٨ وما بعدها

وأزاهـر البسـتان ترنـو حولـه ** متفتحـا يحسـو الضيـا أملودهـا[١]
من نـوره المكبوت أشـرق نورهـا ** فاهتز فـى الألـق المنضر عودهـا[٢]
وشدا الحنـان المـرو مـن دولابـه ** فـتراقصت فـوق المـروج قدودهـا

بيد أن هذه الأزهـار والرياحين لـو تعلـم مـا يعانيـه هـذا الثـور مـن الضنـى والأسـى لذبـل ريحانهـا، وذوت من أجلـه أزهارهـا وورودهـا، وذلـك قوله:

ولـو انهـا علمـت أسـاه لصوحـت ** وذوى لـه ريحانهـا وورودهـا[٣]

ولهذا لا نعجب إذا رأينا الشاعر يصـور أسـى السـاقية، وأسـفها لمـا وصل إليه حاله، وصار إليـه مآلـه، فبكت حزنـا عليه إذ أنهـا أحسـت بأنهـا سبب بلائه ومصدر شقائه. يقول:

صرخـت نواعـير الربـى لإسـاره ** وتفجعـت أسـفا عليـه كبودهـا
فانسـاب فيـض عيونهـا وتفجـرت ** دمعـا مـن البلـوى لديـه مهودهـا
عجبـا لنائحـة عليـه لوانهـا ** تبكـى لصـم الصخـر ذاب جليدهـا
وهـى التـى ألقتـه فـى كنـف الضنـى ** ورمـاه فـى العدم المهيـن وجودهـا

ويختم القصيدة بأن ينعى إلى الـورود هذا المخلـوق المسـكين الـذى وقع عليه الظلـم من النـاس أجمعين إذ لـم يلـق مـن يرحمـه، ولـم يجـد مـن ينصفـه، ويعجـب الشـاعر كيـف يتحمـل الثـور من الأثقال مـا ينـوء بكلكلـه، ويفرى أمعاءه، ويفتت أكباده ويمزق جلده:

---

١) الأملود: الغصن اللين الناعم.

٢) الألق: البرق واللمعان.

٣) نصوح النبات: تشقق وييبس، والمرو: نبات عطر.

يا ثور كيف غرتك أسواط الورى ** وتقطعت فى جانبيك جلودها
مردت على كتفيك محرابا إذا ** صلت به يفرى حشاك سجودها

إلى أن يقول منوها بفضله:

هو أنت من جعل المروج خمائلا ** عيدانه يسبى النفوس شهودها
فى كل حقل من جهادك آيه ** يضفو على الريف الشقى خلودها[1]

وبعد هذا الوصف الرائع الذى وصف به الساقية، واستتبع ذلك أن يعرج على الثور الذى يدور بالساقية، فوصفه وصفا ينم عن إحساس عميق وشعور فياض يعبر عن خلجات نفسه، وعن العواطف المشبوبة بين جوانحه، وعن حرارة الانفعال بالتجارب الشعورية التى يعانيها .

أقول: بعد هذا الوصف الرائع تطالعنا قصيدة للشاعر فى وصف "الشادوف" وهو دلو معلق بحبل يتدلى من عود يحمله عودان من خشب الشجر، يمتاح الماء من الجداول والأنهار الصغيرة ليروى به الفلاح زرعه .

وقد أبدع الشاعر فى وصفه وصفا تفاعلت فيه أحاسيسه ومشاعره مع آيات الإبداع التى يرصده فيها. فصوره فى صور ناطقة ذات أفكار متجسدة، ومعانى مشتركة من ذلك قوله:

عريان جرده الضحى من ستره ** فغدا يضج بدمعه المذروف
لم يرضه ثوب السنا سدلاله ** يختال فى بهج ولمح شفوف

ثم يأخذ فى تشبيهاته فى صور شتى فشبهه بالعاشق الملهوف فى حاله متحه الماء:

فبكى ونكس رأسه متذللا ** متحسرا كالعاشق الملهوف

---

١) القصيدة في ديوان هكذا أغني ص٤٠٣ - ص٤٠٨.

أما فى حالة توقفه فقد شبهه بالمصلوب مرة وبالعابد الساجد مرة أخرى:

فإذا تقاعس خللته فى صمته ** جثمان مصلوب نغير كفوف
بترت سواعده الليالى، وانبرت ** تبليه فى سخط وفى تعنيف
وإذا جثا ألفيته متعبدا ** طهرت سرائره من التزييف
سجداته فى النبع قُلبة وآله ** طبعت على سلساله المرشوف

وبالكريم الذى تحلى بصفه الإيثار، فهو يؤثر النبات على نفسه، إذ عطى الماء النبات مع أن به خصاصة إليه وذلك قوله:

صديان قدم للورود شرابه ** وأعار أدمعه لقلب الريف
فيظل يظمأ عاريا، والزهر فى ** رى ونبت الحقل فى تفويف
ثاو على الحب العميق كأنه ** أعمى على جرف هنالك موفى[1]

وهكذا بريشه فنان صناع رسم لنا محمود حسن إسماعيل لوحات فنيه وصف فيها مشاهد القرية وصف المستهام بها، وقد تفاعلت أحاسيسه ومشاعره مع آيات الإبداع والجمال التى تجلت واضحه فى مظاهر الكون التى يرصدها فيه، فجمع فأوعى، إذا لم يترك مشهدا من المشاهد التى نشاهدها فى الحقول إلاوصفه وهام به .

ومن خير ما يمثل ذلك قصيدته "وطن الفأس"[2] فقد جمعت هذه القصيدة كل مظاهر القرية وهى طويلة جدا نقطف منها الأبيات التالية، يقول:

---

١) ديوان " هكذا أغني " ص٤٢٧، ص٤٢٨.
٢) أنظر هذه القصيدة في ديوانه " هكذا أغني " ص٣٩٥ - ص٤٠١.

فى الضحى، والشعاع جاث على النيـ ** ـل، كما خر ساجد فى صلاته
والرياحين ناهلات من الطل (م) ** رحيق الصهباء من قطراته
خمرة سلسل الضياء طلالها ** فجرت كوثرا على ربواته
عربد الزهر من شذاها فأفشى ** سر جناته على نفحاته
والفراش الوديع يسبح فى الأيـ ** ـك، ويحسو العبير من زهراته
ومن الطير سجعة ورنين ** ومن النحل زفة فى رباته
وهنا هدهد تولع فى الحقـ ** ـل بظل يفئ من نخلاته
وفصاد يزقزق فى ضحوة النو ** ر، فيحيى الربيع فى خطراته
والعصافير شاديات فى الدو ** ح، تناغى بشدوها شجراته
جنة نضرة الخمائل فى الريـ ** ـف، نماها معذب فى حياته
ناسك فى الحقول، هيمان بالأر ** ض، يجلى بتربها دعواته
حملت فأسه من الغيب سرا ** حير العقل كامن من صفاته
والسواقى مفجعات عليه ** نائحات تريق من عبراته
عندها الثور قيدته يد الظلـ ** ـم. وهذا حليفه فى سماته
والشواديف كم أرنت بأذنيـ ** ـه، وصاحت تنن فى مزرعاته
كم صبا السنبل الحبيب إليه ** ساكبا بين راحه قبلاته
وهفت نورة من الفول بيضا ** ء كطيف الإيمان فى صلواته
عشق الزهر كفه فتمنى ** خلد أطرافها على ورقاته

ثم لم يلبث أن يرسل الزفرات والأنات تحسرا على القرية والفلاحين الكادحين الذين يغرسون، ولا يجنون إلا التعب.

فيقول فى نفثة مصدور، وقلب مثقل بالهموم:

إيه يا جنتى! لقد صدح النا ** ى، وروحى تفيض من نفثاته
شفتى فى حماك قوم خيارى ** ندبوا نحسهم على صفحاته

نضروا غرسك الرطيب، وناموا ** فعدا غاصب على ثمراته
قطف اليانع الشهى، وألقى ** لبنيك الجياع، فضل فتاته
إيه يا كوخى الحبيب! ألا تـ ** سمع شدوا سكرت من صدحاته
حسد القصر لحنه، وتمنى ** خفقة للبروج من أبياته[1]

وإن شئت فاقرأ له مناجاته الكوخ من قصيدته " الكوخ ":

يا زورقا ألقى بشط الضحى ** مجدافه، كما كبا العاثر
يهنيك شمس خلّدنْ قبلة ** على جبين حظه خاسر
لم يحلم القصر بها فى الكرى ** ولا رآها برجه العامر
وجنة حولك. . غيسانة ** ريحانها مفتق زاهر
وجدول يرويك ... معذوذب ** سلسباله مصطفق زاخر
ونخلة فوقك ... تهدى الجنى ** والظل .. يستذرى به العابر
تهتز للسارى، ونخل الورى ** فى القصر مرهوب الحمى كاشر
يهنيك عذراء إذا أقبلت ** للنيل أصغى موجه الهادر
يستلهم العفة من جرة ** يحنو عليها ملك طاهر
قدسية القلب، بها عصمة ** لم يؤتها نسر السما الكاسر[2]

فقدأ رانا هذا النموذج وصف الشاعر لكل مظاهر الحقل: شمسه، وريحانه، وجداوله، ونخيله، والجرار، والفلاحات حاملات الجرار واللاتى يستلهم موج النيل منهن العفه والقداسة، والحفاظ على الشرف والطهارة. وبعد فهذا غيض من فيض وقليل من كثير، وقد اكتفيت بتسجيل أهم مظاهر شعره فى القرية، وما أوردته إلا نماذج وأمثلة فقط لنقف منها على بعض

---

١) المصدر نفسه.
٢) أغاني الكوخ ص٢٠.

تلك المظاهر. ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى دواوينه الأربعة عشر، ففيها الغناء للمستزيد.

الصورة الفنية لشعره في القرية

تمهيد:

بعد هذا العرض لبعض مظاهر القرية في شعر محمود حسن إسماعيل نستطيع أن نقول إنه بات مقررا أنه كان يملك موهبة كبيرة، وطاقة شعرية عاتية، نقف حيالها مبهورين، فكانت له طريقة خاصة في التصوير والتعبير، ورؤية جديدة يرى من خلالها الأشياء، وقاموس شعرى متفرد، وقدرة خارقة على الغوص إلى أعمق الهمسات، وأدق الخفايا، وتصوير الأفكار وإبداع الصور، والتقاط أعمق الأسرار من باطن التجربة الإنسانية.

وكانت نفسه القوية المتماسكة، وشخصيته المتفردة المركبة التى ظلت تحمل فى أطوائها دهشة، وهى تستقبل مظاهر الطبيعة والحياة والأحياء، وإحساسه المتواتر الحاد، كل ذلك كان هو السر الكامن وراء جدة صوره الشعرية، وغرابة تشبيهاته، واستعاراته، وحيوية مجازاته، وجدة استخدامه لمفردات اللغة.

وبهذا تمكن من التأثير فى معظم الشعراء الذين عاشوا معه وأوقع فى أسره، وجذب فى مداره الذين كانوا يغردون على أفنان الأربعينات والخمسينات، وأمتد تأثيره إلى شعراء الستينات والسبعينات، حتى هؤلاء الذين اقتصرت تجربتهم الشعرية على الشكل الجديد المعروف بالشعر

الحر[١].

بالإضافة إلى أنه يعد رائدا من أكبر رواد مدرسة الشعر الوجدانى فى شعرنا العربى الحديث. فهو من الجيل الذى جاء بعد جيل شوقى وحافظ ومطران، ذلك الجيل الذى يطلق عليه "جيل أبولو" نسبة إلى تلك الجماعة الشعرية التى أسسها الشاعر الرائد أحمد زكى أبو شادى، وتحلق حولها كوكبة من الشعراء الجدد الذين صاروا فيما بعد من أكبر أعلام الشعر العربى المعاصر. ومنهم ناجى والشابى والهمشرى والصيرفى والسحرتى وجودت وعلى محمود طه، وغيرهم من شعراء هذا الجيل الوجدانى الذى أضاف إلى الشعر العربى الحديث قيما تصويرة وتعبيرة جديدة، وأنغاما موسيقية مبتكرة.

ولقد كان محمود حسن إسماعيل من أعظم أبناء هذا الجيل الرائد حيث استأثرت التجربة الشعرية بحياته كلها " ولعله الشاعر العربى المعاصر الذى ظل يغرد فى حيوية وعذوبة وشباب طوال أربعين عاما دون أن يتوقف أو ينضب معينه الشعرى أو يشعر بالقلق حيال أدواته الفنية، وقد ظل راهبا فى محراب الفن طوال حياته، لم تستطع الأجناس الأدبية الأخرى أن تشده إليها، أو تجذبه إلى دروبها"[٢].

وتتسم كل دواوينه بالجدة والغرابة ووحدة الشعور، وعمق الإيقاع، وتنوع الموسيقى الداخلية وفى دواوينه الأخيرة بعض تجديدات فى موسيقى الشعر.

وأسلوبه فى تكوين الصورة غنى مرهف. ولهذا تجئ صوره متنوعة، فهى مرة صور حسية ناضجة، وهى أحيانا صور خيالية ينسج

---

١) محمود حسن إسماعيل مدخل إلى عالمه الشعرى ص٤ د/ عبد العزيز الدسوقى سلسلة كتابك رقم ٣١ طبع دار المعارف سنه ١٩٧٨م.

٢) المرجع نفسه ص٦.

مفرداتها من عالم الخيال، وهى فى بعض المرات صور فكرية، وفى الأخرى كان يمزج فى الصورة الواحدة بين ما هو حسى وما هو خيالى، كما أنه يستعين فى تصويره وتعبيره الفنى بموهبته الخارقة وذكائه العبقرى، وحسه التجديدى وموردثه الشعبى.

كل ذلك سنتعرف عليه -إن شاء الله- فيما نستقبل من إبداعه الشعرى الحافل بالصور الحية النابضة بالاحساس والحركة.

ولكن قبل أن نلج عالمه الشعرى فى صوره المختلفة أرى أن نعرض لمفهوم الصورة الشعرية.

(أ) - مفهوم الصورة الشعرية:

فى البداية أقرر أن نقاد الأدب اختلفوا فى مفهوم الصورة الشعرية قديما وحديثا. غير أن من يعتد به فى مجال البحث الأدبى، والدقة فى تحديد المفاهيم العلمية والأدبية، والإدراك الواعى، والنظر الثاقب فى هذا المجال، توصل إلى مفهوم الصورة الشعرية وعرفها بأنها هى " التركيب القائم على الإصابة فى التنسيق الفنى الحى لوسائل التعبير التى ينقلها الشاعر -أعنى خواطره ومشاعره وعواطفه- المطلق من عالم المحسات، ليكشف عن حقيقة المشهد أو المعنى فى إطار قوى نام محس مؤثر، على نحو يوقظ الخواطر والمشاعر فى الأخرين"[1].

وعلى كل حال فإنه مهما اختلفت وجهات نظر النقاد -قدامى ومحدثين- فى ذلك المفهوم، فإنهم فى النهاية توصلوا عن طريق تحليل الصورة إلى مظاهر الجمال فيها، وأثرها فى نفس المتلقى، إذ الصورة

---

١) البناء الفنى للصورة الأدبية فى الشعر د/ على على صبح ص١١ نشر المكتبة الأزهرية للتراث القاهره سنه ١٩٩٦ م. وكذلك الفصل الثالث "الصورة الأدبية" ص١٤٩. من كتابه "الصورة الأدبية تاريخ ونقد".

وسيلة الشاعر الأولى لاكتناه أسرار الوجود، وتمثيل مشاعر النفس، وخواطر الفكر، فى معادل تعبيرى يكشف أبعاد رؤيته للواقع الخارجى ومدى استبطانه للظواهر، ومدى عمق الإحساس بالذات وبالمجتمع وعلاقة المحدود بغير المحدود، وكلما اقترب هذا المعادل التعبيرى من مناطق الدمج والحلول شف عن رحابة نفس الشاعر، ونفاذ شاعريته، وكلما اقترب من تجزىء الظواهر، والتماس وجوه المشابهة ابتعد عن كلية الرؤية وعمق التصوير.

(ب) التشخيص وبث الحياه الإنسانية فى الجمادات والحيوانات والنبات وتجسيد المشاعر والإحاسيس.

وبعد هذا التمهيد هيا بنا نقف عند بعض صوره الشعرية نستظهر مظاهر الجمال فيها ليتحقق لنا الهدف من هذه الدراسة.

وفى دواوينه الأربعة عشر[1] قصائد كثيرة، يمكن أن نقف عندها لتحقق لنا هذا الهدف من تلك القصائد "الكوخ" "القرية الهاجعة"، "حصاد القمر"، "جلاد الظلال"، "حاملات الجرار" وغيرها. وهى قصائد باذخة الثراء الفنى تكشف عن جوهر تجربة الشاعر الفنية وتشير إلى طريقته فى التعبير والتصوير، وتجسيد الرؤية الخيالية، والمزج بين التجربة الحسية، وأشواق الروح، والتعبير عما يجيش فى نفسه ومكنون فؤاده.

ونبدأ بقصيدة له من ديوانه "أين المفر"، وهى قصيدة "حصاد القمر"، حيث يرسم الشاعر صورا لحقل من حقول الصعيد فى الليل الساجى أيام الحصاد وفى ضوء القمر[2].

---

١) وهى " أغانى الكوخ، هكذا أغنى، والملك، أين المفر، التائهون، صلاة ورفض، هدير البرزخ، دار واصفاد، قاب قوسين، لابد، صوت من الله، نهر الحقيقة، موسيقى من السر، رياح المغيب ".

٢) ديوان اين المفر المجلد الأول ص٧٣٣، ص٧٣٩.

مهد لها بقوله: "وفتحت حانة القمر أبوابها للسنابل والأكواخ والنخيل، فراح يشرب سرها من أنين المناجل فى يد الفلاح الحزين".

وقد عبرت هذه القصيدة فى صدق وعمق عن التجربة التى كان يعانيها، وبداها بتصوير الجو الهامس المسحور فى الليل، حيث الحقل يغرق فى السكون بعد أن نامت سنابله واستيقظ القمر.

وقد حدد الشاعر الحقل تحديدا دقيقا من خلال صور فنية بالغة الرهافة غزيرة الإيحاء، واندماج فى الطبيعة يتيح له أن يفجر صورها وأن يتنفس من خلالها، ويرى الأشياء ويحل فيها، ويصورها من خلال منظوره هو. فهو الذى يرى تلك السنابل الذهبية المملوءة بالقمح المائلة فى أيام الحصاد -يراها- كائنات نائمة. وهو الذى يتصور الحقل نعسان، ويرى الأضواء ساهدة، وقلب النسيم ولهان ينفطر، والسنا الجانى يهمس للحقل بسر من الوحى لا يعرف مصدره، والنخلة مطرقة على مرتفع منه، كأنها عابد يفكر فى ملكوت الله عز وجل، وإذاهزها النسيم تحركت ذوائبها كأنها أنامل مرتعشة هزها طول العمر، وظلها فى الحقل مضطهد، وقد جاء الصمت إليه يعتذر، وعن تلك الصور يقول:

سيان فى جفنه الإغفاء والسهر ** نامت سنابله واستيقظ القمر
نعسان يحلم والأضواء ساهدة ** قلب النسيم لها ولهان ينفطر
مال السنا جانيا يلقى بمسمعه ** همسا من الوحى لايدرى له خبر
وأطرقت نخلة قامت بتلعته[1] ** كأنها زاهد فى الله يفتكر
إن هف نسم بها، خيلت ذوائبها ** أناملا مرعشات هزها الكبر
كأنما ظلها فى الحقل مضطهد ** صمت السكون إليه جاء يعتذر

وتتداعى عناقيد الصور بعد ذلك كما ترى فى الأبيات التى تلى ذلك:

---

١) التلعة: ما ارتفع من الأرض.

الدوح نشوان فاخشع إن مررت به ** فضيفه الباطشان: الليل والقدر
كأن أغصانه أشباح قافلة ** غاب الرفيقان عنها: الركب والسفر
مبهورة شخصت فى الجو ذاهلة ** كأنها لحبيب غاب تنتظر
أو أنها نسيت عهدا، وأنعشها ** شجو الرياح فهاجت قلبها الذكر
أو أنها والأسى المكبوت فى فمها ** بنات وعدبها عشاقها غدروا
عجماء تنبس كالتمتام عاتبة ** وملء أوفاضها التهويم والخدر[1]

وتختلط هنا الصور الحسية بالرؤية الخيالية، للتركيبة السحرية للأشياء التى أولع الشاعر بها، بالدلالات الجديدة التى تنطق بها تعبيراته، بالإيحاءات والظلال التى تتفجر من الأبنية اللغوية التى ينتظمها أسلوبه، والتى تشكل قاموسه.

"الدوح نشوان" ضيفه "الباطشان: الليل والقدر" و "أغصان الدوح" "أشباح قافلة" غاب رفيقاها "الركب والسفر"، مبهورة ذاهلة، وكأنها تنتظر حبيبا غائبا، أو نسيت عهدا فانعشها شجو الرياح فهاجت الذكريات قلبها، أو كأنها بنات وعد غدر بها عشاقها. ثم هى "عجماء تنبس كالتمتام" "ملء أو فاضها التهويم والخدر". كل هذه الصور الشاخصة المتحركة تتداعى فى نفس الشاعر، وبذلك تتحول القصيدة إلى عناقيد من الصور الفنية الجديدة. وتلك هى طريقة الشاعر فى بناء قصائده. إنه يبنيها من خلال الصور. وكأنه فنان تشكيلى ينحت من الأحجار أروع التماثيل، ويشكل مواد الفن التشكيلى أحسن تشكيل.

هذا ونلاحظ أن صور محمود حسن إسماعيل متنوعة، كما فى هذه القصيدة. فهى أحيانا صور حسية، كالصورة الرائعة التى رسمها لأطراف

---

١) ديوان "أين المفر" للشاعر ص٧٣٣ ،ص٧٣٤. المجلد الأول من الاعمال الكاملة للشاعر محمود حسن إسماعيل طبع دار سعاد الصباح سنه ١٩٩٣ م.

النخلة المرتفعة وقد حركها النسيم وهى قوله: "أنا ملا مرعشات هزها الكبر"، والصورة الحسية أيضا لهذه النخلة فى قوله: "كأنها زاهد فى الله يفتكر".

وبعض صور الشاعر خيالية، كالصورة التى يرسمها لظل النخلة فى الحقل فى هذا الليل الصامت الساكن، وكأنه مضطهد صمت السكون جاءه معتذرا إليه:

كأنما ظلها فى الحقل مضطهد ** صمت السكون إليه جاء يعتذر

وكالصورة التى يرسمها لضوء القمر عندما يسطع على الحقل وكأنه يميل عليه ليلقى على سمعه "همسا من الوحى لا يدرى له خبر".

وكالصورة التى رسمها للأضواء الساهدة، وصورة قلب النسيم الولهان، والصورة التى يرسمها للحقل "تعسان يحلم" والسنابل نائمة مستغرقة فى نومها.

وأحيانا كان محمود حسن إسماعيل يمزج فى الصورة الواحدة بين ما هو حسى وما هو خيالى، ويستعين فى كل الأحوال بموروثه الشعبى، وقدرته على التجديد فى استعمال الدلالات الجديدة، واستخدام المنهج الرمزى فى التصوير والتعبير، والدليل على ذلك تلك الصورة التى رسمها للأشجار العظيمة الكثيفة المتفرعة الأغصان الممتدة الفروع عندما تترنح فى اضطراب أمام الريح، وكأنها فى حالة سكر: "الدوح نشوان فاخشع إن مررت به" وكان يمكن أن تظل هذه الصورة حسية، ولكن الشاعر حولها إلى صورة مركبة من الحس والخيال عندما جعل للدوح النشوان ضيفين يلمان به هما: الليل والقدر. ولا يستطيع الناقد الأدبى أن يدرك أبعاد هذه الصورة المركبة إلا إذا تأمل بعمق الموروث الشعبى من العادات والتقاليد للشاعر محمود حسن إسماعيل فى هذا الإقليم من صعيد مصر، وفى الربع الأول من

القرن العشرين بالذات، حيث كانت أحداث القتل والأخذ بالثار تتربص بالناس، وكان القتله -بطبيعة الحال يختفون باسلحتهم وينادقهم فى هذه الأشجار الملتفة الكثيفة، وتنطلق الرصاصات ممزقة سكون الليل على الضحايا.

كانت هذه الأمور تمزق نفس الشاعر، وتروع قلبه، وتفزع فؤاده، وتقض مضاجعه، فلا عجب أن يرسم للدوح هذه الصورة المفزعة:

الدوح نشوان، فاخشع إن مررت به ** فضيفه الباطشان: الليل والقدر

ولعل هذه المأساة الاجتماعية التى يعيشها الصعيد إلى جانب المأساة المؤلمة التى يعيش فيها الفلاح المصرى -آنذاك- هى البذور الأولى التى دارت حولها هذه التجربة الشعرية فى "حصاد القمر" وأوحت إليه بهذه الصور.

وكل قصيدة للشاعر كانت تعبر عن تجربة عميقة، ورؤية محددة، ولكنه لم يكن يعبر عنها تعبيرا مباشرا، بل كان يبدع مجموعة من الصور والدلالات والرموز يربطها خيط واحد بحيث تشكل فى النهاية تركيبة خيالية موحية مؤثرة، يسفر من خلالها عن جوهر تجربته، وأحيانا كان يتخذ فى داخل هذا الاطار محورا يحل فيه ويتنفس من خلاله، يشفى نفسه من جحيم هذا الشقاء الذى يعيش فيه. ففى هذه القصيدة اتخذ القمر محورا له حل فيه وراح يناجيه:

يا ساكب النور لا يدرى منابعه ** لأنت قلب يشع الحب لا قمر
هيمان تحمل وجد الليل أضلعه ** والليل تقتله الأشجان والفكر
كأنه زورق فى الخلد رحلته ** تياره من ضفاف الحور منحدر

يا طائرا فى ربى الأفلاك مختفيا ** يمشى على خطوه الأجفال والخدر[1]

ويروح الشاعر بعد ذلك يخاطب القمر، ويبثه أشجانه الخاصة والعامة، ويشرك القمر فى مأساة الإنسانية التى روعت الشاعر:

يا طائفا لم ينم سر على كبد ** إلا وحفك من أحلامه أثر
تمشى الهوينى كما لو كنت مقتفيا ** آثار من دنسوا مغناك واستتروا[2]

ويزداد حلول الشاعر فى القمر فيشركه فى الامه واحزانه قائلا له:

ذرت عيونك دمعا ليس يعرفه ** إلا غريب بصدرى حائر ضجر
قلب كقلبك مجروح وفى دمه ** هالات نور إليها ينصت البشر
إن العذاب الذى أضناك فى كبدى ** من ناره جذوة تغلى وتستعر
سرى كلانا ونبع النور فى يده ** أنت السنا، وأنا الإنشاد والوتر
وأشربتنا الليالى السود أدمعنا ** وأنت سال ونفسى غالها الشرر

ويظل الشاعر فى مناجاته القمر، فيصور الأبى الذى لم يأبه بصروف الدهر ولم تفت فى كبده حوادث الزمن، بل وقف شامخا يعطى للآخرين ولا يأخذ منهم، فلم تصرعه الأحداث مع مرور الزمن، على الرغم من أنه وحيد فلا رفيق يؤنسه، مغترب ليس له وطن يستقر به. وكأن الشاعر يرمز بهذا إلى نفسه فيقول له:

الله أكبر يا ابن الليل ياكبدا ** لم يضن أسرارها التطواف والسهر
بكى الحيارى على الدنيا مواجعهم ** وصرعتهم بلايا الدهر والغير

---

١) المصدر السابق ص ٧٣٥ والاحفال جمع جافل وهو الذى يمضى فى مشيه مسرعا شاردا نافرا.

٢) المصدر نفسه ص ٧٣٦.

وأنت حيران منذ المهد لا وطن ** ولا رفيق، ولا درب ولا سفر
لكن طرفك نشوان السنا ذهبت ** منابع السحر من بلواه تنهمر

وكان يمكن أن تنتهى التجربة عند هذا الحد، فالشعراء الرومانسيون عندما يهربون إلى الطبيعة يصورونها، ويلوذون بها من الهجير النفسى الذى يؤرق نفوسهم يكتفون بالتوجع والأنين واستعذاب الألم وبث الشكوى. وقد نفس الشاعر عن أحلامه المرهفة المعذبة من الليالى السود، والشرر الذى اغتال نفسه، واشتكى إلى القمر من عذابه الذى يعانيه من أبناء الدنيا. ولكن التجربة المركبة فى هذه القصيدة لم تكن مجرد وجد رومانسى وحنين إلى الطبيعة، ولكنها كانت تجربة اجتماعية هدفها فى المقام الأول تصوير شقاء الفلاح، وبيان العذاب الذى يعانيه، والجهد الذى يضنيه، والكدح الذى لا يجد له ثمره تعود عليه بالنفع جزاء ما بذل من جهد وعرق ، اللهم إلا الجوع والحرمان .

وقد اهتدى الشاعر بحسه المرهف إلى هذا الإطار الفنى البارع، وجمع فى داخله المتناقضات. مظاهر الطبيعة الجميلة والسنابل وقد امتلأت بالخير والعطاء. ثم المناجل فى أيدى هؤلاء الكادحين الصابرين الذين يحصدون الخير، ولكنهم لا يجدون القوت. فقد ظهر هذا واضحا عندما اسفر الشاعر عن جوهر التجربة، وصور شقاء الفلاحين وعذابهم، وما يلاقونه من عنت وإرهاق بقوله يخاطب القمر:

قف مرة فى سماء النيل واصغ إلى ** محيرين سروا فى الحقول وانتشروا
قوم هم الدمع والآهات تحملها ** أقفاص عظم لهم من خطوها نذر
كادت مناجلهم والله مشربها ** بأس الحديد من البأساء تنصهر
مشوا بها فى مغانى النور تحسبهم ** جنائزا، زمر أنت لها زمر
جاسوا الحقول مساكينا جلابيهم ** توراة بؤس عليها تقرأ العبر

يجنـــون أيـــامهم ضنكـــا ومســـغبة ** ممـــا أفـــاء لهـــم واديهـــم النضـــر

ولا أجد أصدق من هذا الوصف في تصوير الفلاح وذلـه ومسبغته، ولا أكثر إثاره للنفوس من هذا الشرر المتأجج الذي تضج به تلك الصور.

وكان من الممكن أن تنتهي التجربة الشعرية لدى الشـاعر عند هـذا الحد، ولكنــه تجاوز ذلك وتنبأ بـالثورة من خـلال أدواتـه الفنيـة، وبطريقـة الإيحاء المثيرة إذ يقول:

ساءلت سنبلهم مـا سـر شـقوتهم ** ومن غبار يديهـم مرجـك العطـر؟
فمـال واسـتـرجعت عيدانــه نغمــا ** يلغو من الموت فـي أصدائـه سمر!
وإذبهـا فـي تـراب الحقـل نائمـة ** تحكـي توابيت لم توجد لهـا حفـر
بكـي الحصيد علـى أحـزان غارسـه ** متى سيحصد هذا الدمع يا قمـر؟![1]

وهكذا استطاع الشـاعر عن طريق صوره الرائعـة والتـي أراه قـد انفرد بها حين جسد المعانـي وشـخصها حتـى كـانت ذوات تتحـدث وتشـعر، وتتألم، وتفـرح وتحـزن، ان يشـركنا معـه فـي أحزانـه، وجعلنـا نتعـاطف مـع آلامه، ونثور على هذه الحالة التي يعيش فيها هؤلاء البؤساء، ونأسى أيضـا على شقاء الشاعر وتعاسته، ونهتف معه:

بكـي الحصيد علـى آحـزان غارسـه ** متـى سيحصد هـذا الدمـع يـا قمـر

ونتنقل إلى قصيدة "جلاد الظـلال"[2] وهـي قصيـدة تعبـر عـن امـتزاج الشاعر بالطبيعة وحلوله فيها، كما أنها تمزج ما هو حسي بمـا هـو معنـوي. وعنوان القصيدة يعكس الصورة التي فجرت التجربة في نفس الشاعر.

---

١) المصدر نفسه ص٧٣٩.

٢) انظر القصيدة في ديوانه " أين المفر " من ص٦٧١ إلى ص٦٨٠ المجلد الاول.

والقصيدة تصف جزيرة فى القيظ الحار فى لحظة معينة، وهذا القيظ هو الذى يتخيله الشاعر " جلادا " يمسك فى يده سياط اللظى المتأجج، يجلد به الظلال.

يبدأ الشاعر قصيدته بوصف الجزيرة فى حضن النيل:

دعوها على راحاته الخضر ترتمى ** فقد شفها برح الهجير المسمم
رمت فوقه أشجانها، وتنفست ** إليه، بشكوى عابر لمخيم
ولاذت به مفطورة. فظلالها ** أسارير وجه اليائس المتجهم
وأغفت على حضن من الموج نائم ** بخيل الرؤى إلا على كل ملهم
هو النيل رباها على الحب والهوى ** وعانق شطيها عناق المتيم
وطوق جنبيها، فلاحت غريبة ** على ساعديه من أسى البين تحتمى
وتحكى له أشجانها، وحديثها ** يغنى بلا عود، ويشكو بلا فم

فقد استطاع بريشة الفنان المبدع أن يرسم لوحة فنية رائعة الجمال للجزيرة والنيل وما يحتوياته، فى صور متآزرة متنامية، كونت لوحة متكاملة، فالجزيرة كعروس يحتضنها النيل براحاته الخضر، وحيث عانق شطيها عناق الحبيب المتيم، وقد طوق جنبيها واستسلمت لحبيبها، تحتمى به من أسى البين، وهى تشكو له ألم الفراق، وتبثه أشجانها وأحزانها. وتتوالى صور الشاعر. فيصور الأشجار بركب فى صحراء، وكأنهم بسبب ما أصابهم من جهد وتعب، مما جعلهم يضلون طريقهم ولم يهتدوا إلى سبيلهم كأنهم "أصنام دير مهدم" يمر الناس عليها غافلين، كما مر بوذى على دار مسلم:

وأدواحها ركبان دو أحالهم ** ضلال الفلا أصنام دير مهدم
يمر على محرابها الناس غفلا ** كما مر بوذى على دار مسلم

والسفن تسير فى النيل حول الجزيرة خاشعة، كما يسير الحاج فى الكعبة وهو محرم، وأشرعة السفن بيضاء كأنها رايات استسلام لجيش مستسلم لعدوه:

وتسرع حواليها السفائن خشعا ** سرى تائب فى كعبة الله محرم
لها شرع بيض الحواشى متونها ** كأعلام جيش مستجير مسلم

فى الوقت الذى يخيم فيه على الجزيرة السكون، ولكن سكون فى حنايا صدره، كأنه بقايا لُهاث الشر فى صدر مجرم:

سكون، ولكن فى حنيّات صدره ** بقايا لهاث الشر فى قلب مجرم

كما يصور القيظ بوجه الحانق المتألم ومعه سياط طوال، وهنا أطرقت الزهرة حدادا على عطر الصباح الحزين الذى توقف فى هذا الجو الراكد الساكن، كما يصور الريح وقد سكن بصورة ميت رقد فى نعشه.

وكما فى هذه الصورة الرائعة التى يلتقطتها لفروع الأشجار والطيور والجمادات والأعشاب فى هذا الجو الخانق المسموم حينما اشتد الهجير والقيظ فتحول الروض إلى ساحة مأتم يتقبل فيه العزاء:

تلك الصور المركبة المجسدة يحملها قوله:

وأقعى على الاسوار قيظ رأيته ** يطل بوجه الحانق المتندم
يلوح كجلاد الظلال، وهذه ** سياط اللظى منه طوال التضرم
وأوقف نعش الريح. ٠ لاكف لاحد ** ولاخطو بكاء كثير الترحم
وحائرة من عالم الزهر أطرقت ** حدادا على عطر الصباح الململم
تشاكى من التعذيب فرع وطائر ** وعشب، فكان الروض إيجاد مأتم

وعندما يصور النخيل وقد سكن وقت الظهيرة بسبب القيظ الشديد

فإنما يصوره فى صورة ملحد ألحد بعد أن كان صوفيا:

وألحد صوفى النخيل، فما أرى ** به هزة كانت إلى النسك تنتمى
لقد كان رعاش الأيادى تبتلا ** إلى الله، لم يدنس، ولم يتأثم
أما قام فى الفجر الرطيب مؤذنا ** يصيح بتكبير على العقل مبهم
فما باله أصغى، وأصغت ظلاله ** كمنتظر حكم القضاء المحتم

على هذا الضوء من التفسير نرى تتابع الصور فى انسجام والتحام، كما نرى براعة الشاعر فى نسج التجربة الشعرية نسيجا فنيا مترابطا، وقد مزج بين ما يحتدم فى نفسه وبين جو الجزيرة فى الهاجرة.

وبعد هذا التطواف حول هذه المطولة "جلاد الظلال" التى بلغت واحدا وسبعين بيتا أعتقد أننا لسنا فى حاجة إلى كبير عناء لتكشف كيف شكل الشاعر كل هذه الصور الشعرية الشاخصة المتحركة الجديدة أو نقف على هذه الدلالات اللغوية الجديدة التى تمتلئ بها القصيدة، أو ندرك تلك الشحنات الرائعة التى تتفجر من الألفاظ تصويرا وتعبيرا وظلالا وهمسا، ولكن الذى يلفت النظر فى تلك المطولة الرائعة هو هذا المزج بين المعنويات، والمحسوسات، وهذا التصوير البيانى الرائع، والتشبيهات الجديدة والرموز الدالة المعبرة، وتلك القدرة الفائقة على إدراك أدق الهواجس والخفايا والتفصيلات والتعبير عنها، وتجسيدها فى صور من خلال صياغة لغوية جيدة، وتشقيق المعانى وصياغتها ونسجها بطريقة جديدة.

وقد استطاعت فطرة محمود حسن إسماعيل المرهفة أن تهديه إلى هذا الحس لاستخدام وسائل تصويره فى لوحات عديدة فى كثير من دواوينه. خاصة ديوانه الباكر "أغانى الكوخ". ففى هذا الديوان نبض من إيحاء ظواهر الطبيعة وتشخيصها فى صور وملامح إنسانية.

من ذلك ما يقوله على سبيل المثال فى قصيدته "ريف النيل":[١]

وطـوف ريحانـه فـى الجنـان ** وفـى كـل منضـورة بـالوجود
يفتـش عـن روضـة بـرة ** بفـئ الظـلال الرطيـب الرغيـد
وعن سحرها فـى ركـاب الضحى ** وقـد لبسـت أرجـوان الـورود
وسـنبلة فـوق صـدر الكثيـب ** تصيـخ لأحلامهـاً فـى هجـود
تهـب لايقاظهـا فـى المسـاء ** ريـاح الصبـا والنسـيم الوئيـد
فتخفـق أهدابهـا للريـاح ** وتهفـو ذوائبهـا للسـجود
فتبـدو كخاشـعة للجمـال ** وقـد لاح تمثالـه مـن بعيـد
يرفـرف مـن غـادة عفـة ** محجبـة الحسـن ميسـاء رود[٢]

فقد صور الريحان فى صورة إنسان يطوف فى الجنان يفتش عن ربوة، والربوة فيها من إنسانية الإنسان البر، فهى برة بفئ الظلال الرطيب الرغيد والضحى موكب إنسانى، والربوة تلبس أرجوان الورود، والعبير يسرى فى خاطر الربا وادع الأنفاس، والسنبلة تحلم وترهف السمع لأحلامها، ورياح الصبا والنسيم الوئيد يهبان لإيقاظها فتخفق أهدابها، والكثيب صدر، وللربى خاطر، والنسيم يتمهل فى مشيته، ويمشى مشيا وئيدا، والفراشة ترف رفيق المنى:

تـرف الفراشـة فـى حوضـه ** رفيف المنى فـى مجالى السعود

وحاملة الجرة كما تبدو أحلامها:

كزنبقـة الفجـر فـى طهرهـا ** وأحلامهـا كابتسـام الوليـد
تعـود إلـى كوخهـا فـى الغـروب ** وقد حاكت الشمس قلب الحسود

---

١) ديوان أغانى الكوخ من ص٢٧: ٣٣.

٢) أى حاملة الجرة عفيفة فارعة جميلة الحسن.

نسج كامل بين عالم الطبيعة وعالم الإنسان، فى صور تحيا من خلالها الطبيعة، وتشعر وتحس وتتصرف، كما يشعر ويحس ويتصرف الإنسان، كما يمتزج المحسوس وغير المحسوس فالسنبلة تستمع للأحلام، فكان للأحلام أصواتا تحكى والمحسوسات تصور فى صورة تجريدية، كما أن المشاعر والأحاسيس تتجسد فى صورة محسوسة على نحو ما يتجسد الزعر عندما تهدد الريح حاملة الجرة فى صورة حمامة أبصرها باشق:

إذا دهتهـا الريـح أبصرتهـا ** حمامـة تفـزع مـن باشـق[1]
نصيفهـا تخفـق أهدابـه ** خفق الأسى فـى الشـجن الطـارق
غريـرة اللحـظ لهـا نظـرة ** زوراء عـن ختـل الهـوى الفاسـق
كـم ألهمـت مـن وحيهـا شـاعرا ** قدسـها فـى عصـره السـابق
وكـم شـدا العصفـور لمـا سـرت ** تختـال تحـت الفنـن الـوارق:[2]

وهكذا تبرز فى صوره فيما يتصل بشعره فى القرية وشعره فى غيرها إضفاء الطابع الإنسانى وما يتصل به من مشاعر وأحاسيس على

---

١) الباشق: طائر من الجوارح يشبه الصقر ويتميز بجسم طويل ومنقار قصير.

٢) ديوان الكوخ ص٤٦ وما بعدها. والقصيدة عنوانها "عروس النيل" ومضمونها وصف فلاحة من فلاحات الريف تحمل الجرة سرت بها إلى النيل لتملاها من مياهه كعادة الريفيات فى هذا الوقت وقد بداها بقوله

سـارت إلـى جدولهـا الدافـ ** ـير الكـرى مـن مقلـة العاشـ
وانيـة الخطـو كـأن الـثر ** يحمـل منهـا خطـرة السـار
فصفـق المـوج علـى سـاق ** مـن فتنـة كـالوا لـه الخـاف
تمتـع بـالجرة مـن منهـ ** صـاف كريـق الكوثـر الدافـ

المشهد الطبيعى وبث الحياة فى تضاعيف الطبيعة حتى تصبح مخلوقات بشرية تتنفس وتحس، وتتالم وتمرض وتغار، وتتألق بالبهجة والفرح الداخلى. وهذه قصيدته "زهرة القطن"[1] لوحة فنية من هذه اللوحات التى يشخص فيها الشاعر زهرة القطن ويعطيها نبض المشاعر الإنسانية، ومذاق الكائن البشرى:

يا عروسا لم تزينها يد ** غير كف المبدع الفن الصناع !
عقدت إكليلها من سوسن ** باهت الأفواف، تبرى القناع
مستعار من خنى العشق، ومن ** لوعة الهجر، ومن لون الوداع
يسجد الشاعر من فتنته ** سجدة الفن زها حسنا وراع
عانقت طيف الضحى، واكتأبت ** لأصيل لاح مخنوق الشعاع
ورنت للشمس يخبو سحرها ** بعدما أذهل أجفان القلاع
فبدت حانية الراس أسى ** ترمق الغرب بمضى والتياع
مثل صوفى تراءى خاشعا ** مطرق الرأس بمحراب التلاع !
وأتاها الصيف وهاج السنا ** يضرم الأنفاس نارا فى البقاع
فارتدت برنسها من ذهب ** أبيض توج هامات الضياع
تحسب الأغصان لاحت بينه ** أسطرا تزهو على بيض الرقاع

على أن هذه اللوحة الفنية لم يكتف فيها الشاعر بإضفاء الطابع الإنسانى على زهرة القطن، وتصويرها كعروس فاتنة تعقد إكليلها من سوسن، فيه ما تحس به من ضنى الشوق، ومن لوعة الهجر، ومن لون الوداع، ثم تعانق طيف الضحى، وتكتئب للأصيل، وترنو للشمس الغاربة فى أسى مثل صوفى تراءى خاشعا مطرق الرأس بمحراب التلاع. أقول ! إنه لم يكتف بذلك بل زاد بأن قال عندما ياتيها الصيف تتوهج فيها الرغبات،

---

١) انظر القصيدة فى ديوانه أغانى الكوخ من ص٢٣: ٢٦.

وتزدهر المنى، فترتدى -وكأنها غانية جميلة على موعد مأمول- برنسها من ذهب أبيض وليست زهرة القطن هنا هى الغانية الجميلة فحسب، فإن الشاعر يستمر فى إخفاء الطابع الإنسانى على كل عناصر اللوحة، فالأصيل يلوح مخنوق الشعاع، والقلاع لها أجفان تذهل، والصيف يأتى كفارس مقتحم - وهاج السنا يضرم الأنفاس نارا فى البقاع والضياع ذات هامات يتوجها الذهب الابيض، وهكذا تغدو "تسائم" الطبيعة وبث الحياة فى موجوداتها، منهجا من منهاهج الشاعر فى الإحساس بها، ورؤيتها زاخرة بالحياة، فياضة بالمشاعر والحركات والأحاسيس، فاعلة فى قلب الوجود على نحو ما تفعل الحياة البشرية التى يؤازرها الوعى، وتحركها الإرادة..

وإذا شفت هذه اللوحة عن حنو الشاعر على مغطيات الطبيعة من خلال إضفائه الحياة على زهرة القطن، وماتشى به هذه اللوحة من فرح شاعرى، واتصال الوشائج العميقة بين نفسية الشاعر وبنات الطبيعة السافرات فى جمال وسحر وجاذبية، فإنه ينبع داخله -أيضا- ذلك الإحساس الأليم بما عليه الفلاح من صورة سلبية الطابع الإنسانى فى جوهرها الحقيقى، ملقاه على سطح الحياة فى ضيم بالغ واستنزاف مهين كما قال:

ذاك تاج النيل ! فاندب عنده ** أمل الفلاح والجهد المضاع
وارث للمسكين عيشا أسودا ** ران فى كوخ حقير متداع
نامت النعمة عنه ! وجفت ** معدما، لم يرعه فى مصر راع
عفرت ريح الأسى كسرته ** وطوت نعماءه دنيا الصراع
رقص القصر على أكتافه ** وهو جاث. بين ذلّ واقتناع
وسطا اليؤس عليه، فغدا ** زورقا فى اليم محطوم الشراع!![1]

---

(١) المصدر السابق ص٢٦.

(ج) المفردة اللغوية

وبما للمفردة فى سياق الأسلوب الشعرى من دور هام فى إبراز الصورة الشعرية وتكوينها فإننى أختم هذا الفصل بالحديث عن مفردات الشاعر اللغوية ووظيفتها فى رسم الصورة الشعرية. فمن المسلم به أن المفردة إنما تأتى فى السياق لتسهم فى أداء المعنى. وفى تكوين الوجود الصورى للعبارة الشعرية.

وقد سبق أن أشرت إلى أن الشاعر كان له معجمه وقاموسه الشعرى الخاص، إذ أن لكل شاعر عظيم خصائص أسلوبية فى استعمال عدد من المفردات ذات الدلالات التراثية والثقافية والنفسية الخاصة، وأن استخدام هذه المفردات فى استخدام شعرى مما يزيد الصورة الشعرية رونقا وجمالا، ويضفى عليها كثيرا من الروعة والجلال.

ومحمود حسن إسماعيل من الشعراء الممتازين الذين لا يخطئ الباحث منذ الوهلة الأولى وجود معجم خاص متميز فى أشعارهم. وقد استقى الشاعر معجمه فى شعره فى القرية من بيئته القروية، وقد دار معجمه فى هذه الناحية عن الحقل وما يحفل به، من شجر وعشب ونخل وجداول ،ثم كل ما يتصل به من زهور وثمار وظلال وألوان، وما يتفرع عنه من خمائل وحدائق وبساتين، ثم حياة الفلاح فى هذا الحقل وما يتسم به من عبودية واسترقاق وكدح وشظف عيش، وطيور وحيوانات. وكانت هذه الألفاظ عظيمة التدفق فى مرحلته الشعرية الأولى وبخاصة فى ديوانه الأول "أغانى الكوخ" والذى يطالع ديوانه هذا يجد تلك الألفاظ ثرة وقد أمدت الشاعر باللبنات الأولية لبنائه الشعرى، فمثلا عندما نطالع قصيدته "عند زهرة الفول"[1] والتى يقول فيها:

---

١) أنظر القصيدة في ديوانه " أغاني الكوخ " من ص٧٧: ص٨٠.

طلع الحسن فى ثرى الريف روضا ** حالى الأيك بالأزاهر والند
سرق العطر من جيوب العذارى ** وحباه للأقحوان المنضد
وسطا فى ثغورهن فأجرى ** كوثر الريق فى ثراه المعبد
ثمل النبت من طلالها فرفت ** كل مياسة به تتأود
فهنا السنبل المرنح يهفو ** فى مهب النسيم حينا ويسجد
وهنا الفول أبيض الزهر نضر ** كسدول العفاف لاحت بمشهد
وترى الصادح الطروب من الطير ** ر يناغى أليفه المتوجد
يتظنى ترتيله فى ذرا الدو ** ح صلاة من الملاك تنشد
وكأن الريحان من رونق الخضـ ** رة صيغت عيدانه من زبرجد
ضاع من كمه العبير كعذرا ** ء براها الهوى فراحت تنهد
وتخال الضحى عليه برودا ** فصلت من سنا شعاع وعسجد
وقدود النخيل قامات غيد ** ساكرات من خمرة الطل ميد
خفقت حولها الدوالى فريعت ** وتأست على الأسير المقيد
لطمت سوقها على الثورحزنا ** حرة فجعت على مستعبد
ونزا فى مراحه كل جدى ** حائر الروق، تأثر الخطو أغيد
قد سقاه الربيع كأس سلاف ** من رحيق الندى فثار وعربد
وإذا ما الأصيل أهرق فيه ** جام صهبائه، العتيق المعسجد
شمت أغصانه ذوائب شعر ** مذهبات على نواحى خرد
وعلى النيل للسفائن همس ** كطيوف الأحلام تهفو بمرقد
سبحت فى عبابه الشمس تبغى الطهـ ** ر فى مائه النمير وتنشد
جنة تلهم الخيال، وتوحى ** عبقرى الفنون من كل مشهد
شغل القوم عن هواها، وكانت ** للألى شيدوا الحضارة معبد

أقول من يقرأ هذه القصيدة يجد ألفاظ الحقل تشكل البناء الفنى

للقصيدة وتكون الصور الفنية لشعره فى القرية ففيها ألفاظا: الثرى، الريف، الروض، الأيك، الأزاهر، الندى، العطر، الأقحوان، النبت، السنبل، الفول، أبيض الزهر، النضارة، الطير، الدوح، الريحان، الخضرة، عيدان، العبير، الضوع، النخيل، السواقى، الثور، الساق، الجدى، الروق، الربيع، الأغصان، الجنة.

وقد تعاونت وتعانقت هذه الألفاظ فى رسم الصورة الشعرية، وإبرازها على الصورة التى أتت عليها.

وهكذا استطاع الشاعر محمود حسن إسماعيل مستعينا بوسائل التصوير الفنى المعتمدة على التشخيص، وبث الحياه الإنسانية فى الجمادات والحيوانات والنباتات، وتجسيد الشاعر والمعنويات، واستخدام معجمه الخاص، وثراء مفرداته المستمدة من عناصر الطبيعة ومظاهرها من سماء وشمس، وقمر وليل وسحر، وجدول وظل ونخيل، وسواق، كل ذلك وغيره استطاع به أن يتألق فى سماء الشعر فنانا عبقريا، ومصورا بارعا، ورساما مبدعا، وشاديا عازفا، عزف لنا على قيثارة الشعر همومه الذاتية، وتجاربه النفسية، وعاطفته الشجية نحو بؤس الفلاح وشظف عيشه، وقد ترددت هذه النغمات الآسية فى عدة قصائد فى أكثر من ديوان من دواوينه الأربعة عشر.

الصبغة الإسلامية والنزعة الصوفية الروحانية

في شعره في القرية

أشرت في ثنايا البحث، وبالتحديد عند حديثي عن القرية في وجدانه، إلى أن الشاعر رأى في القرية مصدر تأمل، فهي آية من آيات الله عزوجل، ومظهر من مظاهر قدرته سبحانه وتعالى، وذلك حين رآها غارقة في صمتها الرهيب، وليلها الداجي البهيم:

والنسيم الغض يسري ناعما ** كالمنى تهفو بمهد الحالمين
جنة غناء لفتها الربى ** في حماها لفة الأم الحنون[1]

وقد سكنت الحركة فيها، وهجع أهلوها "فلا تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا": صدحت بالجلال في صمتها الساهي لسر محجب أزلي[2].

اللهم إلا صوت من بلبل يصدح، أو "صافرة من بنات البوم صاحت في الوكون"، أو نقيق ضفدع هتكت ستر السكون:

ونقيقا أزعجت ضوضاؤه ** أذن الكون وسمع النائمين
أعجميا حيرت لكنته ** شاعر الفصحى بلحن لا يبين
جاوبته في الدجى صافرة ** من بنات البوم صاحت في الوكون
تتحدى الليل في رهبته ** لو يجلي غامض السر الكمين[3]

ثم لا يلبث السكون أن يعود ليخيم على القرية كما كان فهي والحاله هذه:

بهرة للعقول تملى على الكو ** ن نداء الطبيعة العلوى

---

١) ديوان أغاني الكوخ ص١٤٨.
٢) المصدر السابق ص٥٤.
٣) المصدر السابق ص١٤٥.

تلهـم الرشـد للضلـول وتلقـى ** معجـزات الهـدى لكـل غـوىَ
وتسـوق الايمـان للجـاحد الغـا ** وي فتنضـو مـن قلبـه كـل غـيَ
فضحـت كـل ملحـد حيـن أضفـت ** قـدرة اللـه مـن سـناها العلـىَ
هـى فـن السـماء لاح علـى الأر ** ض يلـوح منمـق موشـىَ
خشـع الزهـر فى نواحيه ريـا ** ن رطيبـا من النسـيم الندىَ

لثمتـه الصبـا فهز مـن النشـوة أكمـام كأسـه العطـرىَ
وأذاع العبـير يعبـق فـى الحقـل بنفـخ مطيـب مسـكىَ
سار فى خاطر الربى وادع الأنفـاس يحكى تنهدات الصبىَ
كم شجى عاشقا وهاج ادكارا فى فؤاد من الشجون خلىَ[٤]

وهكذا .. سيطرت على الشاعر تلك النزعة التأملية فى صوفية روحانية إسلامية فأخذ يحلق فى روحانية وشفافية، كالذى بدا منه وهو يتعاطف مع الفراشة ليبحث معها عن الحقيقة ويسبر أغوار الوجود فى جنة نائية بعيدا عن المجتمع وعن أحزان الناس على متاع الحياة الذاهب، وعن قضاياهم وشكواهم وعن صخبهم وأشباحهم، وبعيدا أيضا عن فتنة الأزهار وأريجها الفواح الساحر، وبعيدا عن أعاصير المساء وأصدائها المثيرة، بعيدا عن كل هذا، ليسعد معها بأسرار الحياة، وريحان الجنات يقول فى "راهبة الضحى":

تعـالى نظـر فـى سـماء الخيـال ** ونهـف بجنتـه النائيـه
بعيـدا عـن الكـون حيـث المنـى ** تـرف بأظلالـه هانيـه
هنـالك لا أدمـع ثـرة ** تهـاوى ولا مهجـة شـاكيه
ولا عـالم بـالأذى صـاخب ** ودنيـا بأشـباحها زاريـه
ولا زهـرة تنتشـى فـى الصبـاح ** بكـأس النـدى الحلـوة الصافيـه

---

٤) المصدر السابق ص ٥٤، ص ٥٥.

ويـــأتى المســـاء بأندائـــه ** فتســـقى أعـــاصيره الســـاقيه[٢]

وليست الفراشة وحدها تتأمل معه فى فلسفة الحياة والوجود، ولكن مظاهر الطبيعة تتجاوب هى الأخرى معه فى فلسفته الروحية وتأملاته الإسلامية فى سكون الليل وصمت الظلام، فإن غرقت السنابل النائمة فى سبحاتها وأحلامها فلن ينام القمر، فالأضواء ساهرة تبدد غياهب الحقيقة، فينتشى بها النسيم فى لهفة، حتى يكاد فى تأمله أن ينفطر والسنا يخر ساجدا أمامها فى همس روحى، والنخلة راكعة كالزاهد تتدبر أسرار الوجود، وذوائبها تضطرب مرعوشة كرعشة الكبير، ومن خلفها ظل خافت ضن به سكون الليل .. إن مشاهد الطبيعة تسبح معه بحمد الله تعالى فى طهر وتقى وتفكر وزهد، وعبادة روحية ونور وإيمان "وإن من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم" يقول فى قصيدته "حصاد القمر":

سيان فى جفنه الاغفاء والسهر ** نامت سنابله واستيقظ القمر
نعسان يحلم والأضواء ساهرة ** قلب النسيم لها ولهان ينفطر
مال السنا جاثيا يلقى بمسمعه ** همسا من الوحى لايدرى له خبر
وأدركت نخلة قامت بتلعته ** كأنها زاهد فى الله يفتكر
إن هف النسيم بها خيلت ذوائبها ** أناملا مرعشات هزها الكبر
كأنما ظلها فى الحقل مضطهد ** صمت السكون إليه جاء يعتذر[٢]

وحين تحترق الظلال بسعير الشمس، وقيظ لظاها، تظل كالأفعى من شآبيب الحواجز، فتلهب الظل بسمومها الفتاكة، وتصير أشعتها فى الظلال لظى كسياط الجلاد، أو مثل وهج النيران حين ينفخ الحداد بكيره، فتتقد

---

٢) المصدر السابق ص ١٦٢.

٢) ديوان أين المفر ص٧٣٣ وما بعدها.

جمراتها، حينئذ يلتهب الظل نارا، فيصير كالضمير المذبوح بالثرى والخراب.

جاء ذلك من خلال صورة بديعة وفريدة من نوعها، تفيض عن فلسفة إسلامية امتدت جذورها فى القرآن الكريم من قوله تعالى: "ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا، ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا"[١].

تلك الصورة الأدبية الرائعة من ديوانه "أين المفر" فى "وصف القيظ" يقول فيها:

وأقعى على السور قيظ رأيته ** يطل بوجهه الحانق المتندم
يلوى كجلاد الظلال وهذه ** سياط اللظى منه طوال التضرم
يكدن يحلن الظل وهما وغصنه ** تهافت مفزوع عميق التوهم
وينفخ كالحداد نارا شرارها ** تناهش خزى فى ضمير مذمم[٢]

إنه الفيلسوف المسلم فى سبحاته الروحية الشفافة وشطحاته الصوفية النفاذة .. فى عفة وطهارة، وصفاء ونور يسموبه مع الخالدين الذين عشقوا الروح وتجردوا عن أثقال المادة ومتاع الحياة الذاهب فمضوا مع السالكين، الذين تركوا تراثا إسلاميا وفكريا أدبيا ضخما وخالدا يحمل فى ذاته قيما نبيلة وأخلاقا سامية[٣]، تجلى فى تصويره النخيل وقد سكن وقت الظهيرة من شدة القيظ بصورة صوفى ملحد .. هذا التصوير الرائع تحمله الأبيات التى يقول فيها من القصيدة ذاتها:

---

١) سورة الفرقان آية ٤٥ والآية ٤٦.

٢) ديوان أين المفر ص٦٧٣.

٣) انظر الأدب الإسلامى بين النظرية والتطبيق من ص٩١: ص٩٦. د/ على على صبح. ط: المكتبة الأزهرية للتراث سنه١٩٩٨ القاهرة.

وألحد صوفى النخيل، فما أرى ** به هزة كانت إلى النسك تنتمى
لقد كان رعاش الأيادى تبتلا ** إلى الله، لم يدنس، ولم يتأثم
ولم يجن ذنبا يبتغى عنه توبة ** مع الناس يدعوها بكف ومعصم
أما قام فى الفجر الرطيب مؤذنا ** يصيح بتكبير على العقل مبهم
فما باله أصغى، وأصغت ظلاله ** كمنتظر حكم القضاء المحتم
وألقى على الأفق المصفد نظرة ** كأصفاد عيسى والتفاتات مريم[1]

كذلك بدت هذه النزعة أكثر إشراقا فى قصيدته "مؤذن الفجر" تلك القصيدة التى تجلى فيها الجانب الروحى الذى ينم عن نفس مشرقة بنور الايمان واليقين.

وقد أطلق على المؤذن شاعر الفجر، لما رأى وأحس فى ذلك الصوت العميق الذى يهتف فى صمت السحر من القباب والمآذن تتدفق فيه روحية الشرق ونور الاسلام ويهتز الجو الإسلامى بطيوف شعرية هفافة:

وشاعر فى الفجر يسبى النهى ** بسورة جلت عن المأثم
خياله من سدرة المنتهى ** ولحنه من وتر الأنجم
عف الترانيم.. إذا نصها ** كادت تضئ الطهر فوق الفم
معنبر اللحن، إذا ماشدا ** ورجع الأنغام فى فجره
تخاله مجمرة، والصدى ** نوح التقى ينساب من ثغره
وسائر الكون له معبد ** أترعه الايمان من طهره
كبر حتى خف من صدحه ** من نام فى الكوخ ومن لم ينم
ورتل الأنغام فى صبحه ** يطرى بها النور، ويهجو الظلم[2]

---

١) ديوان أين المفر ص٦٧٧ وما بعدها.

٢) ديوان أغانى الكوخ ص١٢٧، وديوان صوت من الله للشاعر نفسه ص١٧٥٧ بعنوان "داع إلى الله".

وكذا قصيدته الرائعة "أذان الله" وقد هزت وجدانه تلك الكلمات التى ينطلق بها صوت المؤذن، وهو يدعو المؤمنين إلى الصلاة، وهيج الأذان فيه كوامن الايمان، وحرك فيه تلك المشاعر الإيمانية، فانطلق لسانه فى روحانية إسلامية، ونزعة صوفية تعكس مدى ما يترجم هذا اللسان عن إيمان صادق، وقلب مفعم بنور اليقين إذ يقول:

يا أذان الحق يا صوت السماء ** طف على الدنيا ورفرف بالنداء
واملأ الأرواح من نور الرجاء
أنت لحن عاطر يهدى قلوب الحائرينا ** ورحيق طاهر يروى يقين المؤمنينا
فانشر الرحمة فى كل صباح ومساء ** واسكب التوحيد واصعد بين أجواز الفضاء
أنت صوت من الله يهدى بهداه الغافلينا
رب سبحانك لا تحصى أياديك صفات ** للهدى والحق ناديت فلبيك الحياة
وإلى عرشك طارت كل أسراب الدعاء ** فاسقنا من عفو وصفح وضياء
فالهدى منك ومن نورك تجرى الرحمات
سبحت باسمك يارب شفاه وقلوب ** والسموات العلا، والأرض والكون الرحيب
وجرت بالحمد والايمان أنفاس الهواء ** قانتات، عابدات، ضارعات للسماء

ويختم قصيدته ضارعا إلى الله بهذا الدعاء الذى هو غاية كل مسلم:

ربنا افتح قلبنا للحق فأنت المستجيب[٢]

ولهذا كان الشاعر فريدا فى مذهبه الشعرى فكانت له فلسفته الإسلامية فى إبداعه الفنى، وصوره وعناوين دواوينه.

---

٢) ديوان صوت من الله ص١٧٥.

تلك الفلسفة الإسلامية التى تجلت فى اختياره لعناوين الدواوين الغزيرة إذ تتبع روافدها من فلسفة الشريعة وروح القرآن الكريم: فمن "قاب قوسين" إلى "تار وأصفاد" إلى "هدير البرزخ" إلى "صلاة ورفض" إلى "رياح المغيب" إلى "نهر الحقيقة" إلى "موسيقى من السر" إلى "أين المفر" إلى "صوت من الله". والديوان الأخير يفيض بمشاعر فياضة من الايمان وتظهر فيه النزعة الإسلامية واضحة أتم الوضوح، وكل قصائده تتجه اتجاها إسلاميا خالصا.

وهكذا يبدو لنا محمود حسن إسماعيل شاعرا إسلاميا من ألمع الشعراء المبدعين المعاصرين فى شعر التأمل الإسلامى بل كان رائدا فى إبداعه الشعرى فى العصر الحديث حيث اهتم فى شعره بعامة وشعر القرية بصفة خاصة بإبراز الجانب الإسلامى حيث يلتقى مع عالم الأرواح ويتعرف على أسرار الوجود وألغاز الحياة، ليكشف لنا عن العلاقات التى تربط الخالق بالمخلوق عن طريق التأمل فى آيات الله الكونية.

ومن هنا نحس فى مذهبه الشعرى أنه مذهب إسلامى، فهو صدى لآلحانه، وإلهاماته، وهو فيض من روحه مستمد من شريعة الله وفلسفتها الإسلامية. فيه أصالة العربى المسلم، تسيطر عليه الروح الإشراقية التى تصبغه بالصبغة الإسلامية والفكر الإسلامى المستمد من روح القرآن الكريم والأصالة العربية.

ولذا يرى أن ملهمه الشعر ملاك لا شيطان:

يا ملهمى الشعر لم تلمح بخافقة ** إلا روائع من طهر وإيمان
لأنت طيف ملاك رف فى خلدى ** من السموات، لا مبعوث شيطان[1]

ولا أدل على اتجاهه الإسلامى من كثرة شعره الذى يتجه هذه

---

(١) ديوان أغانى الكوخ ص١٣١.

الوجهة الإسلامية فى دواوينه الأربعة عشر، إذ لم يخل ديوان من هذه الدواوين من الاتجاه الإسلامى الذى يدل على عمق الإيمان عنده.

من ذلك -على سبيل المثال- قصيدته عن القدس وعنوانها "قومى إلى الصلاة" وفيها يقول:

وعادت الطيور فى المساء ** فلم تجد فى القبة الضياء
ولا صدى الترتيل والدعاء ** فهزت الأوتار بالنداء !
"يا قدس" يا حبيبة السماء ** قومى إلى الصلاه، وباركى الحياه
ورددى التسبيح فى المآذن ** وأيقظى الأجراس فى المدائن
وكبرى لله لاتهادنى ** قومى إلى الصلاه، وباركى الحياه
لا توقفى الدعاء للرحمن ** مهما لقيت من أذى الشيطان
قومى إلى الصلاة والترتيل والدعاء ** يا قدس يا حبيبة للأرض والسماء[1]

ومن هذا أيضا قصيدة "العودة إلى الله" من ديوانه "قاب قوسين" وهى دموع ذرفتها عيناه وهو فى طريقه إلى الأماكن المقدسة، وهى طويلة بلغت أربعة وخمسين بيتا. أجتزئ منها هذه الأبيات:

رب إنى لك عدت من سراب فيه تهت
وعلى وجهى شظايا ندم فيه انتهيت
وكهوف من خطايا، تحتها نار وصمت
وطيور ذرقت سرى وطارت حيث طرت
وتلاشت فى زوايا خلدى أنى سريت
فإذا أبكى، أراها أدمعا معًا بكيت
وإذا أشكو أراها كل ما منه اشتكيت

---

١) ديوان " التائهون " ص١٣٩٧.

وإذا أهـــرب كـــانت كـــل درب قـــد ســـلكت
وإذا أغفـــو أراهـــا كـــل حلـــم قـــد رأيـــت
وإذا أفـــزع للأوهـــام كـــانت مـــاوهمت
وإذا غنيتهـــا النســـيان غنـــت مـــا ذكـــرت
ومحـــت ذاتـــى وعـــادت لـــى بمـــا كنـــت دفنـــت
رب جنبنـــى صداهـــا فهـــى أعـــدى مـــن عرفـــت
هـــى نفســـى، وهـــى شـــيطانى الـــذى منـــه هربـــت
ســـكنت فـــى وفـــى صحرائهـــا الكـــبرى ســـكنت
وعلـــى مصباحهـــا المخنـــون فـــى الســـفح أقمـــت[٢]

ومن تلك النماذج التى تكشف عن هذا الاتجاه الإسلامى الذى اتسم به شعره فى القرية وفى غيرها قصيدة بعنوان "الله والموعد" وفيها يقول:

كـــل الخطايـــا فـــى يـــدى ** يـــارب أجّـــل موعـــدى
فتوبتـــــى مـــــؤودة ** فـــى مهدهـــا لـــم تولـــد
مـــازلت أدعـــو اللـــه عمـــرا ** ثانيـــــا لجســـــدى
ربـــاه .. بعـــض النـــور ** قـــد طـــم الدجـــى فـــى خلـــدى
ســـبحت بالايمـــان فـــى ** نيـــه عميـــق أبـــدى
قلبـــى إلـــى نـــورك ** تشـــوان بحـــب ســـرمدى
منطلـــق إلـــى ســـماء ** بابهـــا لـــم يوصـــد ...
وجســـدى محمـــل ** بكـــل ذنـــب مبعـــد

واصلـــت دق البـــاب حتـــى كـــاد يمضـــى موعـــدى
وكـــاد يبلينـــى ســـعير الاثـــم حـــول موقـــدى

---

٢) ديوان قاب قوسين ص١١٦٧، ص١١٦٨.

ربـــاه بعـــض التـــوب والغفـــران للمستشـــهد
نزعـــت ذاتـــى وانتهـــت حقيقتـــى للأبـــد
وجنـــت أدعـــو اللـــه عمـــرا ثانيـــا لجســـدى!![٢]

وأكتفى بما أوردت من نماذج، ومن أراد الاستزاده فليرجع إلى دواوينه ففيها الشئ الكثير.

---

٢) ديوان صوت من الله ص١٦٩١، ص١٦٩٤.

كلمة الختام

وبعد فهذا جهد متواضع فى جانب واحد من جوانب شاعرية محمود حسن إسماعيل بحثت فيه عما سجلته قريحته وجادت به شاعريته نحو القرية التى أقلته أرضها وأظلته سماؤها، ونعم بخيراتها، وارتضع من أفاريقها، فغذته يافعا، وكرمته شيخا، ومن هنا فقد حمل لها بين ضلوعه أجمل الذكريات، وتمنى لأهلها عظيم السعادة.

وقد بدا لى من خلال قراءتى لدواوينه الأربعة عشر وخاصة الثلاثة الأولى منها وهى أغانى الكوخ، هكذا أغنى، أين المفر، أن الشاعر -نتيجة حبه العارم لقريته- قد تدفقت شاعريته فى سن مبكرة فما كاد يبلغ الخامسة والعشرين حتى أصدر ديوانه "أغانى الكوخ".

وتأتى أهمية هذا الديوان من حيث إنه يحمل رؤية فطرية لمؤلفه لم تجتزئ مبتذلات الحياة فى القرية أو المدينة، على أن تحمله على أن يسجل فيه قصيدة مدح أوهجاء. بل زخر الديوان كله بقصائد منبثقة عن وجدان الشاعر حين وهب نفسه وذاته فى صفاء ونقاء وصوفية للطبيعة العذراء من حوله، وحين لاحظت عيناه النافذتان معطيات الحقول: أشجارا، وأزهارا، وثمارا، وجداول وقنوات، وطيورا مختلفات الأشكال والألوان متناغمات الأصوات، وشمسا تخايل الوجود بالأضواء والظلال، ونجوما وأقمارا، تستولى على عرش السماء فى أمسيات الريف الطويلة، وحياة كادحة تتجلى فيها تعاسة الفلاح وشظف عيشه، ومظاهر كدحه الدائب، وبؤسه العميق، وصبره الطويل، وتشوقه إلى أن يعيش الفلاحون فى أمن وطمانينة. هؤلاء المحرمون الذين:

يغفون والكلب على مهدهم ** سهران لا يغفو له ناظر

يلى هذا الديوان فى الأهمية ديواناه: "هكذا أغنى" و"أين المفر" اللذان أودعهما خواطره النفسية وتجاربه الذاتية، وأطال فيهما التأمل فى مظاهر الطبيعة القروية خاصة قصائده التى سماها "وطن الفأس" وضمها ديوانه "أين المفر".

وقد اعتمدت على هذه الدواوين الثلاثة على الاخص من بين دواوينه الأربعة عشر ... فمن هذه الدواوين الثلاثة رصدت منها مظاهر شعره فى القرية ... هذه المظاهر كثيره ... ولكنى اقتصرت على أهمها فذكرت منها ما يلى:

١- الكوخ. ٢- الحقل وما يحفل به.

٣- الساقية والشادوف. ٤- بعض الحيوانات والطيور.

وقد عرض الشاعر لكل هذه بالوصف، فوصفها وصفا رائعا ينم عن قدرة فائقة على توظيف العناصر الموسيقية، ويدل على عمق تجاربه النفسية، وتفرده فى التصوير الشعرى، ونضارة أدواته، وقدرته على النفاذ إلى أعماق الحقائق الشعورية والفكرية.

أما عن صوره الشعرية فقد جاءت معبرة عن الهدف الذى ترمى إليه فى صحة وابتكارمتفردة فى دلالتها على شاعرية محمود حسن إسماعيل وقدرات خياله الخالق. فقد استوحى صوره وأخيلته من واقع الحياة الريفية التى كان يحياها فى صدر حياته فى قريته المتواضعة، وهى صور معروفه ومألوفة عند جميع الذين عاشوا هذه الحياة من أبناء القرى فى شتى أرجاء الأرض.

وانفرد الشاعر دونهم بالتأمل العميق فى لباب هذه الحياة وقشورها، وفى مباهجها ومشجياتها، وفى سرائها وضرائها، ثم أحس بأصداء هذا التأمل فى أعماق نفسه، وتفاعل تلك الرؤى والمشاهد مع مشاعره، وهو الشاعر المرهف الحس، فانطلقت شاعريته الفياضة بتلك الروائع من الأوصاف والمشاعر مسبوكة فى تلك القوالب الشعرية المحكمة، فى أجود مضمون، وأنصع بيان.

هذا ..... وأرجو أن أكون قد وفقت فيما قصدت، وبالله التوفيق

وله الحمد فى الأولى والأخرة ،

دكتـــور

محمود جمعة أمين

ثبت المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

أ – دواوين الشاعر

١–ديوان أغانى الكوخ – الأعمال الكاملة المجلد للأول طبع دار سعاد الصباح سنه ١٩٩٣ م.

٢–ديوان أين المفر – الأعمال الكاملة المجلد الأول طبع دار سعاد الصباح سنه ١٩٩٣ م.

٣–ديوان التائهون – الأعمال الكاملة المجلد الثالث طبع دار سعاد الصباح سنه ١٩٩٣ م.

٤–ديوان رياح المغيب – الأعمال الكاملة المجلد الرابع طبع دار سعاد الصباح سنه ١٩٩٣ م.

٥–ديوان صلاة ورفض – الأعمال الكاملة المجلد الثالث دار سعاد الصباح سنه ١٩٩٣ م.

٦–ديوان صوت من الله – الأعمال الكاملة – المجلد الرابع ط دار سعاد الصباح سنه ١٩٩٣ م.

٧–ديوان قاب قوسين – الأعمال الكاملة – المجلد الثانى ط دار سعاد الصباح سنه ١٩٩٣ م.

٨–ديوان لابد – الأعمال الكاملة – المجلد الثانى ط دار سعاد الصباح سنه ١٩٩٣ م.

٩–ديوان الملك – الأعمال الكاملة – المجلد الأول – ط دار سعاد الصباح سنه ١٩٩٣ م.

١٠–ديوان موسيقى من السر – الأعمال الكاملة – المجلد الرابع ط دار سعاد الصباح سنه ١٩٩٣ م.

١١–ديوان نار وأصفاد – الأعمال الكاملة – المجلد الثانى ط دار سعاد الصباح سنه ١٩٩٣ م.

١٢–ديوان نهر الحقيقة – الأعمال الكاملة – المجلد الرابع ط دار سعاد

الصباح سنه ١٩٩٣ م.
١٣-ديوان هدير البرزخ - الأعمال الكاملة - المجلد الثالث ط دار سعاد الصباح سنه ١٩٩٣ م.
١٤-ديوان هكذا أغنى - الأعمال الكاملة - المجلد الأول ط دار سعاد الصباح سنه ١٩٩٣ م.
١٥-محمود حسن إسماعيل - مدخل إلى عالمه الشعرى د / عبد العزيز الدسوقى سلسلة كتابك - ط دار المعارف سنه ١٩٧٨ م.
١٦-المختار من شعر محمود حسن إسماعيل إعداد سلوان محمود حسن إسماعيل ط الهئة العامة للكتاب سنه ١٩٩٨ م.

ثانيا: المراجع

١-الأدب الإسلامى من النظرية والتطبيق د / على على صبح المكتبة الأزهرية للتراث سنه ١٩٩٨ م القاهرة.
٢-الأغانى لابى فرج الاصفهانى ط. دار الكتب سنه ١٩٦٦ م.
٣-البناء الفنى للصورة الأدبية فى الشعر د / على على صبح نشر المكتبة الازهرية للتراث بالقاهرة سنه ١٩٩٦ م.
٤-ديوان الشفق الباكى لابى شادى مطبعة التعاون بالقاهرة سنه ١٩٢٧م.
٥-الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق أحمد محمد شاكر طبع دار المعارف سنه ١٩٨٢م.
٦-الصورة الأدبية تاريخ ونقد د/ على على صبح طبع إحياء الكتب العربية / عيسى الحلبى بدون تاريخ.
٧-العمدة لابن رشيق القيراونى طبع دار الجيل سنه ١٩٨١م.
٨-كوكبة من شعراء العصر د. بدوى طبانة - طبع الشركة المصرية العالمية للنشر - لو تجمان سنه ١٩٩٥م.
٩-المعجم الوجيز. طبع مجمع اللغة العرلابية سنة ١٩٩٧م.